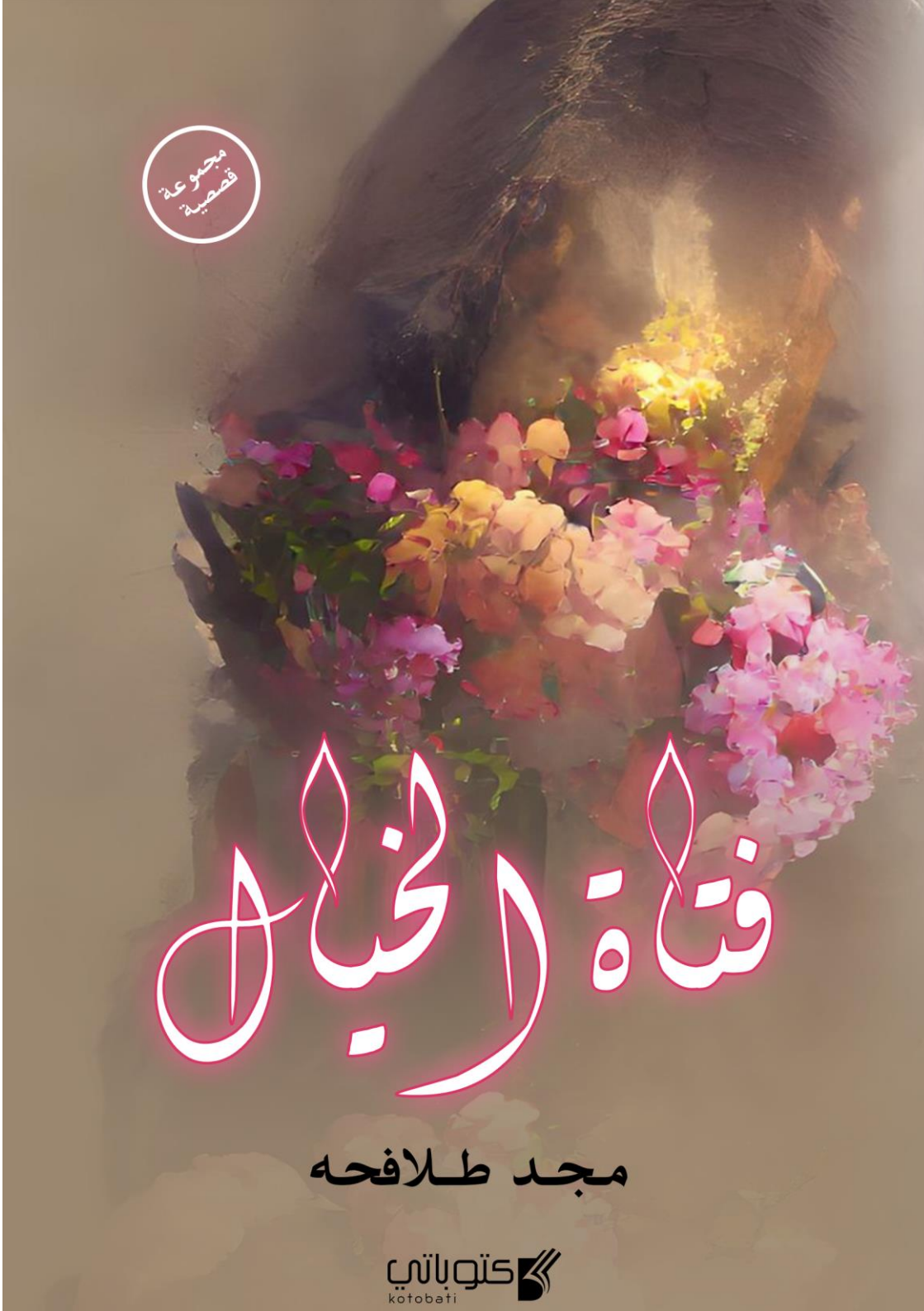
مجموعة قصصية
فتاة الخيال
مجد طلافحه
كتوباتي
kotobati

# فتاة الخيال

مجد طلافحه

مجموعة قصصية

**الكتاب: فتاة الخيال**

**تأليف: مجد طلافحه**

**تدقيق: مجد طلافحة**

**النوعية: مجموعة قصصية**

**الإصدار: 2023**

**تصميم وتنسيق: مكتبة كتوباتي**

**النشر الإلكتروني: مكتبة كتوباتي**

**www.kotobati.com**

**kotobati@gmail.com**

**كل الحقوق محفوظة لدى المؤلف.**

# الفهرس:

إهداء..... 4
شكر خاص ..... 5
تنويه ..... 7
المقدمة..... 8
صبا والصبارة ..... 9
ينبوع الدموع .....29
طيف النسيم ..... 39
مرآة المجد.....67
لصوص الأحلام .....75
الخاتمة.....91

# إهداء

إلى كُلّ شخص لم يكفه الو اقع، وخُيّل إليّه بأنه انتقل من عالم البشر إلى عوالم أخرى من نسج خياله، فغاص في بحر الخيال، ووجد مَلاذًا آمنًا فيه من قسوة الو اقع.

إلى كُلّ شخص يؤمن بذاته، ويؤمن بقدراته، ويؤمن بأنه يستطيع صُنع كل شيء حتى وإن حاربته كُلّ الأنس والجن، و أكدوا له نَقيض ذلك..

فما كان عليه إلا أن تجاهلتْ أُذناه كلامهم المُحبط، وضحكاتهم المُتتالية بسخرية جرّاء معرفة أحلامه ثم التوكل على الله، والسّعي بكل ما أوتي من قوة لتحقيقها.

# شكر خاص

بالبداية، أود أن أشكر العم حامد الذي ألهمني كتابة هذا الكتاب من خلال أسئلته التي يبدأها بعبارة: "سؤال لغرض إبداعي" في موقع كورا، فأجيب عليها، ويمدحني جزيل المدح.. شكرًا لكَ يا عم حامد، فبفضل الله ثم بفضلك كتبت كتابي المتواضع.

شكرًا لأبي وأمي وكل أخوتي، وجميع مَن صادفته في حياتي وترك بداخلي أثرا جميلًا.

وشكرًا للقلّة التي دعمتني معنويًا، وشجعتني على الاستمرار في الكتابة.

وشكرًا للكثرة التي بخلت عليّ بكلمة حلوة، وكانت شديدة السّخاء بكلامها السلبي تجاه كتاباتي ولا سيما كتابي الأول، أحب أن أقول لكم: لقد وضعت كلامكم أسفل قدماي، كلمة وراء كلمة حتى أدركت لوهلة بعد فترة أنني مُرتفِعة فوق جبل شاهِق، لا أخفيكم بأنني كلما سمعت لواذع كلامكم، تأثرت كثيرًا والسبب كلامكم اللامنتهي الذي كنت أعلو به، وارتفع

بمحاولة النجاح، وتكذيب كلامكم، وقبل هذه الغاية لوجه الله تعالى.

فشكرًا جزيلًا لكم.

# تنويه

عزيزي القارئ، قبل أن تشرع بقراءة كتابي، أنوه لكَ عدة أمور:

• هذه المجموعة القصصية كاتِبها ما هو بمجنون، وما هي إلا من وحي الخيال.

• أبحرْ في خيالكَ يا عزيزي القارئ، و أنت تقرأ قصصي الخياليّة حاول أن تتخيل نفسك داخلها، استشعر كلام الجمادات، والتنقل من عالم لعالم آخر..

• أي قارئ جاد، ويحب عيش الو اقع فحسب، فلا أنصحه بقراءتها أبدًا.

• كل الشخصيات من وحي الخيال أي لا يوجد شخصية من أرض الو اقع.

• هذا الكتاب لا يقرأ بجلسة واحدة، وبدفعة واحدة بل بدفعات متتالية ككل يوم قصة، أوكل ثلاثة أيام قصة وهكذا..

فهيّا لنبدأ، بسم الله.

# المقدمة

هذا الكتاب مِنْ نَسْج الخَيال سيذهب بكَ إلى عالم آخر، ستغمض عينيك، وتذهب إلى الحديقة العجيبة، وتسمع حوار صبا والصبارة المريح للقلب والعقل في آن معًا، وتعلم بقصة وعد وكيف تقلصت لحجم صغير كحبّة أرز، وتعلم قصة ينبوع الدموع، وتجد الضفدع المجنون يمارس طقوسه السحريّة الخزعبليّة أمام مرأى عيني الجميع حتى ينبجس نور المخرج لوعد..

وستذهب لمتجر نسيم الجميلة قلبًا وقالبًا مُتتبعة طيفًا تراءى لها حتى ينقضّ عليها بثوبه الطويل الذي مسح أركان متجرها فيه، ثم يأخذها لعالم الأطياف المخيف، وستعلم قصة مجد التي صنعت المجد من انكساراتها وحوارها مع مرآتها السحرية حتى تطلع على مستقبلها، وتقتبس منه الحقيقة والأمل، وتسير على درب النجاح الذي رأيته بعينيها..

وأخيرًا ستعلم قصة فتاة الخيال ولصوص الأحلام ومن هم الذين يسرقون أحلام البشر؟ وما جزاء من سرق حلم غيره؟ وكيف كانت النهاية؟!

# صبا والصبارة

صلّت العصر صبا يوم السبت، وخرجت مغاضبة من البيت فلا أحد يفهمها فيه، فقط تشعر حينما تدخله بحنق وضيق شديد.. خرجت لسُوَيْعات قليلة لا أكثر تتنفس الهواء النقيّ، وتتأمل نقاء السّماء، وتمشي إلى المكان الذي تحبه، وتذكرُ الله كلّما رأت عيناها شُجَيْرة، وحُجَيْرة في طريقها.. لعلَّها تأتي يوم القيامة فتشهد لها، وحتى يذهب شتات عقلها، وشرود ذهنها، وينعم بالها..

وها قد اقترب دُجى الليل وهي ما زالت تمشي بلا كللٍ أو مَلل، تمشي بهدوء وتستذكر كل فكرة وتستحضرها أمامها؛ لترتب أفكارها التي في عقلها، كما ترتب ملابسها التي في خزانتها بعناية فائقة، وشديدة..

وتوقفت بغتة لِتجد نفسها في مكان غير مألوفٍ لها، ولم يسبق لها التجول فيه، فنظرت لحولها وأدركت بأنها تاهت وباتت

حيرى بأيّ مكان هي؟ حاولتْ أن تلمح سُوقًا أو مطعمًا؛ لتسأله عن المكان الذي هي فيه.. لكن الوقت قد تأخر، والكل قد أغلق مكان عمله، صبا تمشي في منتصف الليل والناس نِيام!

ودِيجورٌدامسٌ عمّ الشوارع، وبدأ الخوف يتسلل إلى حنايا قلبها، وماذا لو رآكِ بشريّ سيفكر بأنكِ سيئة، فلا تخرج فتاة جيدة بهذا الوقت المتأخر في بلدك.. ومَن سيخرج في هذا الوقت سيكون شرير! هكذا كان عقلها الصغير يفكر، سيظنون بكِ الظنون، ولو كان البشريّ لا يخاف الله كيف ستحمين نفسك منه إذًا؟

باتت صبا حزينة، وفي عقلها تساؤلاتك كثيرة.. بدأت تفكر بأمور عديدة، ستحاول الرجوع من هذه المسيرة، لكن أفكارها لم تجدي نفعًا، وكانت كلها عقيمة.

تعبت قدماها من المشي لساعات طويلة، وباتت خائفة من مخاوف كثيرة، هل ستجد بيتها رغم أنها سلكت طرقًا غريبة، باتت صبا خائفة، تفكر هل ستحل لوحدها هذه المشكلة الكبيرة؟

لحظات قليلة حتى رأت صندوقًا يقترب منها، وجاءت يدٌ خلفها، حاولت أن تُبعِدَ اليدَ عن وجهها، وبات يَدُقّ مُسرعًا

قلبها، لِتُلْقى داخل صندوقٍ أسودٍ أخافها، فغابت عن الوعي حينها..

استيقظت ورأت عيناها شيئًا غريبًا، وكأنها بعالم غير عالم البشر، هل يا ترى هذا حلم أم و اقع، وهل يوجد بشري هنا؟

بدأت تحاول أن تستكشف هذا المكان وإذ به مليءٌ بالنباتات بشتّى أنواعها، زهورٌ، ووردٌ، وشجرٌ مُثمر، حتى الصبّار موجود!

أعجبتها وردة فاقتربت منها لتقطفها، وما إن وضعت يداها على رقبة الوردة حتى أصدرت صوتًا رقيقًا حزينًا، وكان ذلك الصوت: لماذا ستقطفينني، أتريدين قتلي، أتحرمينني من أهلي، كل هذا لسبب أن رائحتي جميلة، وتأخذينني من بين أحبابي، وحالما أفنى ترمينَنِي في أقرب قمامة؟

قاطع هذا الصوت، صوتٌ جهوريّ منبثق من الشجرة، يقول: نعم، ستقطفكِ هذه الفتاةُ الحسناء، وحينها ستفوزين بِحُسن الخاتمة.

ضحكت صبا متعجبة مما تسمعه أذناها، وتراه عيناها! الورد يتكلم، وكذا الشجر يتكلم أمر غريب، وعجيب، وجميل، وممتع في آن معًا..!

قالت صبا:

- مهما كنتم، لن أقطف وردةً منكم، وأخرج أحدًا مَن بين أحبابه، وأعتذر إن اخفتكِ يا.. ما هو اسمك؟ هل لكِ اسم؟ أم فقط وردة؟

نطقت الوردة: نعم لي اسم وهو جوري، و أنتِ؟

- جميل اسمك، اسمي صبا..

قاطع كلامها، صوت مرتفع يقول: اسمها كأول حروف اسمي!

حاولت أن تركز صبا لتعرف مصدر ذاك الصوت، وإذ به منبجس من صبّارة صغيرة، فأدركت أن اسمها بذات بداية اسم الصبارة..

تكلمت صبا بتوتر: أاسمكِ صبّارة؟

قالت الصبارة: نعم اسمك كأول حروف اسمي، ما هذه الصدفة الحُلوة؟

أردفت بسرعة: لكن كيف، ولماذا أتيتِ إلى هنا؟! فهنا الجميع من النباتات، ولا يوجد بشري سواكِ!

كانت صبا مصدومة مما سمعته، لكن وضعت يدها على رأسها وحاولت أن تستذكر ما حدث معها، لكنها لم تذكر شيئا، فنظرت بحزن لصبارة، وقالت:

- أنا لا أذكر شيئا، فقط استيقظت، ووجدت نفسي هنا!

ثرثرت الليمونة مسرعة:

- ولربما أعطوها ترياقًا لتنسى كل شيء، ثم سيجعلونها تتحول لنبتة صغيرة كما حدث معنا!

وحالما سمعت ذلك صبا أصابها الذعر، وبدأت تحاول أن تهرب من مجموعة نباتات ناطقة حمقاء فقط تتكلم، وتزيد مصيبتها خوفًا وقلقًا، حاولت الهرب لكن دون جدوى..

خُيِّل إليها بأن المكان أشبه بمزرعة محصورة بسياج مُلتف حول مربع لا يتجاوز طوله بعض الأمتار لا أكثر، ولاحظت أنّ المكان غريب فلا يوجد سماء ولا غيوما فقط بياض شديد غريب ومخيف، والمكان مغلق وهي تخاف كثيرا من الأماكن المغلقة حاولت أن تجلس في مكان بعيد عن النباتات لكيلا

تتوتروتخاف أكثر من كلامهم.. فجلست تتمتم ببعض الآيات لتهدأ قليلًا، فهي خائفة ومستوحشة من هذا المكان، وكيف لعقلها بأن يصدق بأن النباتات تتكلم؟ لحظة، ما هذا؟ الصبارة تمشي تجاهها، أنها نباتات تتكلم وتتحرك!

عقلها لا يصدق هذا البتّة فقط مستغرب وخائف..

اقتربت الصبّارة منها، وقالت لها:

- هل تسمحين لي بالتحدث معك، أعلم بأنك خائفة من كلام ليمونة لكنها دائما تثرثروتخيفنا نحن أيضا بكلامها الغير منطقي، لذا لا تخافي ولا تصدقيها، وهذا مجرد حلم، وعما قريب ستستيقظين منه، فقط حلم فلا تخافي..

قاطعت صبا الصبارة وقالت بغضب:

- مجرد حلم؟ هذا كابوس أجزم بأنه أرعب كابوس شاهدته في منامي! وردة تصرخ لكيلا أقطفها، وشجرة تمدحني، وصبارة تتكلم بمنطق وكما أنها انسان، وليمونة سريعٌ قولها، جميل ثمارها، مخيفٌ كلامها! ومكان بلا سماء، ولا غيوم، ولا نجوم، ولا شمس، أو حتى قمر! بالله، أما لي أن أخاف من ذلك كله؟

قالت الصبارة:

- نعم، صدقتِ أمر غريب ومخيف لكِ، لكن أطمئنكِ أنا هنا منذ أمدٍ بعيد، والمكان آمن رغم كلامهن اللامنتهي، ولا أخفيكِ يا صبا هنا تتكلم النباتات، وتخيفني أنا أحيانا...

ضحكت صبا، ثم قالت:

- حال هذه النباتات مثل حال البشر تتحدث بحديث لا منتهي، وسلبي، وتدب الرعب في قلوبنا بكلامهم، ونحن كالأغبياء نصدق ذلك، لربما نحن يا صبارة متشابهتين؛ لأننا نمتلك ذات الشخصية.. وهي شخصية حساسة كما الزجاج من الداخل بينما من الخارج صلبة كما الحديد، و أنا ارتدي قناعًا يشبه مظهرك الخارجي الذي يوحي بكل قوة وصلابة لكن لا تريدين أحدا هذا أفضل أمر.

قاطعتها صبارة: عذرا، وهذا لا يعني بأنني لستُ بحاجةٍ إلى أي اهتمام من ساقٍ أو زارع رغم أني أتكيف في أسوء الظروف بلا ماء لوقت طويل، ولا أعتمد على أحد، فقط على نفسي.. لكن أحتاج للاهتمام ولو القليل في لحظات ضعفي..

قالت صبا: وكذا أنا يظنون بأنني قوية، لكنني هشة من الداخل، ولا أصلح لأن أكون صديقةً، أو حبيبةً، أو أختًا، أو ابنةً، نفسي ضعيفة وهشة وتتأثر من أقل كلمة، و أتفه أمر،

وأضيفي إلى ذلك بأني أركز على جميع التفاصيل صغيرها وكبيرها! وهذا أمر متعب ومرهق وجميل في آن معا.

قالت الصبارة بحزن: عدم اعتمادكِ على أي بشري سواكِ هذه صفة جميلة لكنها حزينة في ذات الوقت يا صبا..

قالت صبا بآسى: نعم، صدقتِ، لكن هل تعلمين أنّ الله يضع الناس المؤذية والبخيلة معنويًا في حياتنا لحِكَمٍ كثيرة؟

- هل لهذا الشيء حكمة؟! لكن في ظاهره شر..

قالت صبا: نعم له حكمة بالغة، ظاهره شر لكن باطنه خير، تأَكَّدي أنّكِ وَإِنْ حُرِمت من كُلِّ الْأُنسِ من البشر، وزُرِعت في حياتكَ أُنَاسٌ قَاسِيةً أَوْ في بدايتها؛ لكي تدركي إِدراكًا تامًّا مَعنى العِوض، قِيمة مَن سيَحنو عليكِ من بَعْدِ سنين عِجَاف..

وحينما يَأْتِي العِوض مُتأخرًا يكون أكبر، وما تأخر العِوض عليكِ إلا لِعظم العَطيّة، وتأكدي بأنك سَتشكرين الله مدى حياتكِ عليه.

وسَتَصُونُين تلك النعمة.. نعمة وجود ذلك الشَّخص بِهيأةِ عِوض دُون فَقدِهَا؛ لِأَنّكِ مُدركة إدراكًا تامًّا كَيْفَ كَانَ مَعْنَى

الْحَيَاةِ دُونَهُ، فأنتِ عِشْتِ ذَلِك في بداية حياتكِ حتى أستخلصتِ من الأمر حِكَمًا وعِبَرًا كثيرة.

هَذَا الْمَنْعُ بِهِ الْكَثِيرُ مِنَ الْمِنَحِ..

وَبِبَاطِنِهِ الْكَثِيرُ مِنْ الْحِكْمِ..

ويَسْتَحْضِرُنِي الْآنَ قَوْلُ ابْنِ عَطَاءِ اللَّهِ السّكَنْدَرِيّ:

"إنّما يُؤلِمُكَ المَنْعُ لِعَدَمِ فَهْمِكَ عَنِ اللهِ فيهِ".

"رُبَّمَا أَعْطَاكَ فَمَنَعَكَ، وَرُبَّمَا مَنَعَكَ فَأَعْطَاكَ".

" مَتَى فَتَحَ لَكَ بابَ الفَهْمِ في المَنْعِ، عَادَ المَنْعُ عَينَ الْعَطَاء".

لذا مَن تذوَّق القسوة وفقدها في بداية حياته لن ينتظر دعمًا من أحد، سيحاول أنْ يكون هو داعم نفسه، ويَفعل بعض الإنجازات أو الكثير منها؛ ليرضي ربّه ثمَّ نفسه.

ومَن تذوق القسوة، وحُرِم من الرَّأفة، سيُعطيها بل وسيكون سخيًّا بها لمَن حوله.

و"فاقِد الشيء لا يُعطيه" بل يُغدِق بِمَا فَقَده لمَن يستحق ذلك فَحَسْب.

قالت صبارة بدهشة:

- حديثُكِ لا يُمَلُّ سماعه، وجميلٌ معناه، ومليء بالمعلومات والحكم، ما شاء الله اللهم بارك..

أردفت قائلة: لكن يا صبا تعبت من الصبر، فلقد مللتُ من الصبر، وكذا ملَّ الصبر مني، هل لكِ أن تخبريني شيئا عن الصبر يريح قلبي..؟

قالت صبا: نعم، سأخبركِ يا صبارة، بالبداية يجب أن تعلمي أنّ البلاء سيقع على كل شخص، لكُل مُبتلى بطريقة ما، ستتعدد الطرق والأسباب لكن المسمى واحد وهو ابتلاء، لقوله تعالى: {وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ}

وَمَا فسّرهُ السّعدي في هذه الآية: "قال تعالى أنه لا بد أن يبتلي عباده بالمحن، ليتبين الصادق من الكاذب، والجازع من الصابر، وهذه سنته تعالى في عباده؛ لأنّ السراء لو استمرت لأهل الإيمان، ولم يحصل معها محنة، لحصل الاختلاط الذي هو فساد، وحكمة الله تقتضي تمييز أهل الخير من أهل الشر.

هذه فائدة المحن، لا إزالة ما مع المؤمنين من الإيمان، ولا ردهم عن دينهم، فما كان الله ليضيع إيمان المؤمنين، فأخبر في هذه الآية أنه سيبتلي عباده {بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ} من الأعداء

{وَالْجُوعِ} أي: بشيء يسير منهما؛ لأنه لو ابتلاهم بالخوف كله، أو الجوع، لَهلكوا، والمحن تمحّص لا تهلك.

{وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ} وهذا يشمل جميع النقص المعتري للأموال من جوائح سماوية.. {والْأَنْفُسِ} أي: ذهاب الأحباب من الأولاد، والأقارب، والأصحاب، ومن أنواع الأمراض في بدن العبد، أو بدن من يحبه، وكذا فراق الأحباب في حيواتهم أو بعد مماتهم.

فهذه الأمور، لا بُدّ أن تقع، لأنّ العليم الخبير، أخبر بها، فوقعت كما أخبر، فإذا وقعت انقسم الناس قسمين: جازعين وصابرين، فالجازع حصلت له المصيبتان، فوات المحبوب، وهو وجود هذه المصيبة، وفوات ما هو أعظم منها، وهو الأجر بامتثال أمر الله بالصبر، ففاز بالخسارة والحرمان، ونقص ما معه من الإيمان، وفاته الصبر والرضا والشكران، وحصل [له] السخط الدال على شدة النقصان.

وأما مَن وفقه الله للصبر عند وجود هذه المصائب، فحبس نفسه عن التسخط، قولا وفعلا واحتسب أجرها عند الله، وعلم أن ما يدركه من الأجر بصبره أعظم من المصيبة التي حصلت له، بل المصيبة تكون نعمة في حقه، لأنها صارت

طريقا لحصول ما هو خير له و أنفع منها، فقد امتثل أمر الله، وفاز بالثواب، فلهذا قال تعالى: { وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ } أي: بشرهم بأنهم يوفون أجرهم بغير حساب".

فيا صديقتي أمر وقوع البلاء أمر محتوم وو اقع لا رَيب فيه، فالكل مُبتلى بطريقة ما.. وكما قال ابن الجوزي: الدّنيا وضعت للبلاء، فينبغي للعاقل أن يوطّن نفسه على الصبر.

باستغراب قالت والصبارة لها: إذن فهمت من كلامك أنّ البلاء يحتاج للصبر، فكلاهما مقترنان ببعضهما البعض، إذن لماذا نصبر ونتحمل كل شيء ثقيل على قلوبنا مدى الحياة؟

قالت صبا: تصبرين؛ لأنه لا تُكال الأجور للصابرين ولا تُوزن، و إنَّما تُغرفُ لهم غرفًا.. لقوله تعالى: "إنّما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب". فأصبري وصابري وهنيئا لكِ إن صبرتِ ستشملك هذه الآية بإذن الله.

ونحن نعلم كيف يكون الصبر على ما لا نطيق، على ما لك نحط به خُبرا، نعلم كيف نصبر حالما نكون حيارى مما حُرِمنا منه بينما نحن رُحِمنا من مصائب أكبر، ونبتلى بالصغيرة لننجو من الكبيرة، كما قال أدهم شرقاوي: مات أهل السفينة وما عرفوا أنه لولا خرقها لخسروها، ومات أهل الغلام وما

عرفوا أنه لولا موته لفتنوا، سبحان من يبتلي بالصغيرة ليُنجي من الكبيرة!

قالت الصبارة لها: لا فضَّ فوك، ما أجمل كلامك مريحٌ للقلب والعقل في آن معًا.

لكن هل تكلمتِ لماذا لا يساعدونا البشر حالما نكون في أتعس لحظات حياتنا، فأحيانًا أريد أن ينتشلني أحدهم من القاع، لكن لا أجد أي معين من البشر حتى أقربهم لي! لماذا يبخلون مساعدتهم لنا رغم أنهم باستطاعتهم مساعدتنا لكن يأبون ذلك؟ والمساعدة ليست ثقيلة، فقط نحتاج إلى القليل من الكلمات الحُلوة والطّيبة لكي نقتات عليها في لحظات ضعفنا وتعبنا ولكن أحيانًا نفر منهم ونستوحش منهم رغم حاجتنا بهم.

قالت صبا:

- يا صديقتي خلاصكِ من كل ضائقة ليس البشر بل رب البشر ستجدين حلًّا لمشكلتك بل حلولًا كثيرة لكلّ مشاكلك حالما تلجأين إليه.. فالنَّاسَ بِأَحْشَائِهَا قُلُوبٌ تَتَقَلَّبُ مِنْ حُبٍّ لِكُرْهٍ شَدِيدٍ، كُلّ ذَلِكَ مِنْ أَجْلِ أَنْ نسْتَوْحِش النَّاسَ وَنأْنِسَ بِاَللَّهِ وَحْدَهُ، لِكَيْ ندْرِكَ بِأَنَّ اللَّهَ دَائِمٌ وَكُلُّ الْمَلَاحِئِ سِوَاهُ زَائِلَةٌ وَكَاذِبَةٌ، لِكَيْ نُدْرَك قِيمَة الْعِوَضِ وَالْعَطِيَّةِ الْكُبْرَى بَعْدَ الْحِرْمَانِ.. وقال

ابن عطاء الله شيء جميل في هذا، وهو: "متى أوحشكَ اللهُ من خلقه، فاعلم أنه يريد أن يفتح لكَ باب الأُنس به".

فالله يعلمك ويعلم مدى حزنك، وكيف تشعرين بالضبط، يعلم أنه يحزنك ما تمرّين به الآن، ويعلم بأنه يضيق صدرك بما يقولون لكنه يريد أن يسمع صوتك، تذللي له، وجددي وضوئك، وصلي ركعتين لغير الفريضة في دُجى الليل في خلوة معه، بعيدًا عن البشر..

وهل تعلمين أن أقرب ما يكون العبدُ من ربّه وهو ساجدٌ؟ وحينها أخبريه ولو بالعامية في سجودك.. عن كل ما ينهكك، أخبريه عن كل ما يقض مضجعك، ويؤرق جفنك، عن كل ما يثقل كاهليك، أخبريه عن ما يستوطن قلبك من كمد وهم وحزن..

بِثّي شكواكِ وحزنكِ إليه، استسلمي له وسلمي أمرك، واطلبي منه ما تريدينه، فكما قال رسولنا الكريم: "لا يرد القضاء إلا الدّعاء"! وسر الدعاء اليقين التام باستجابة الدعاء.

قالت صبارة بآسى:

- لا أخفيكِ.. لكن يتسلل الحزن أحيانا لقلبي، وأشعر بأنني أدعو وأدعو... ولا يستجيب الله لدعائي، لماذا هكذا يحصل لي، هل لأن الله لا يسمعني؟

قالت صبا:

- هذه وساوس الشيطان استعيذي بالله منها، وطمئني قلبكِ يا صبّارة بأنه لا يوجد خيبات في الدعاء.. فإما مُجابٌ، أو مدفوعٌ به أذى، أو أجرٌ مُدَّخر.. وحاشا لله بأن لا يسمع دعاء عبده، فاعلمي بأنّ دعاءَكِ ما هو بضائعٍ عند الله تعالى.

بالنسبة لي أرجوه أن يجعل الله جميع دعائي أجر مدخر في الآخرة فهذه الدنيا زائلة، ولا أحد يضمن عمره الكل سيفنى فيها وبأي وقت.. كل يوم نسمع عن موت إنسان صغير كبير، غني فقير، مؤمن كافر، الكل سيذوق الموت ويفنى لا محالة، وتذكري بأنه لا راحة لمؤمن في هذه الدنيا، فهذه ليست بجنّة هي دار اختبار وليست قرار، الكل مُبتلى بطريقة ما.

نرجع لمسألة الدعاء..

بدايةً قد تؤخَّر إجابة الدعاء لحكمة بالغة.. فإما أن تستجاب الدعوة في الدنيا، أو تؤخر إلى الآخرة، أو بأن الله يصرف عن العبد فيها شر كبير.

فالله حكيم عليم بما يقدره.. نحن دائما نتمنى ونحاول الحصول على شيء ولا نعلم أنّ هذا الشيء خير لنا أم شر كبير ولو حصلنا عليه وتحقق مُرادنا سيكون سبب هلاكنا.

ليس كل ما نتمناه ونسعى له ونطمح له سيصبح لنا..

الإنسان لا يعلم حقائق وحكمة الله في عدم الإستجابة لدعاء مُعين، أو عدم تيسير شيء نتمناه، أو فقدان شيء صغير، والكثير.. لا نعلم شيء من هذا سوى أنّه لا يحصل ولا نفقد شيء لعبث كل شيء بحكم يفوق إدراك حقيقتها وماهيّتها بعقولنا، ولا بمنظورنا القاصر حتى! تأكدي من أنه كل شيء من الله هو خير، ولصالحنا، ولحِكَم مُعينة ولُطف خفي لنا، نجهله نحن..

يقول الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

وكم لله من لطفٍ خفيٍ

يَدِقّ خَفَاهُ عَنْ فَهْمِ الذَّكِيّ

وَكَمْ يُسْرٍ أَتَى مِنْ بَعْدِ عُسْر

فَفَرَّجَ كُرْبَةَ ِالقَلْبِ الشَّجِيّ.

حاولي أن تعيدي النظر ستجدي داخل محنتك منحة.

"رُبّما أَعْطَاك فَمَنَعَك، وَرُبَّمَا مَنَعَك فأعطاك ، وَمَتَى فُتح لَك بَابَ الْفَهْمِ فِي الْمَنْعِ صَار الْمَنْع عَيْن العطاء"..!

والخيرة في ما اختاره الله، ويحقق الله دعاءنا في الوقت المناسب لقلوبنا حينها يأذن الله بتحقيق ما نرجوه.. فقال ابن عطاء الله: "لا يكُنْ تَأخُّرُ أَمَدِ العَطاء مَعَ الإلْحاحِ في الدّعَاءِ مُوجبًا ليأسِك، فهو ضَمِنَ لَكَ الإجابَةَ فيما يختارُهُ لكَ لا فيما تختاره لنَفْسكَ، وفي الوقْتِ الذي يُريدُ لا في الوقْت الذي تُريدُ".

قالت الصبارة:

- حسنًا، سأفعل كلما نصحتني به شكرا جزيلًا لكِ.. كلامك مؤثر وبلسم للروح والقلب، حفظكِ الله.

كانت الليمونة تنظر من بعيد ولا تبعد نظرها عنهما، كاد فضولها يقتلها ما هو الحوار المهم الذي جعل صبارة التي تتحمل لسنوات كثيرة أن تبكي عيناها، وجعل الفتاة الغريبة

صبا أن ينطلق فمها رغم أنها كانت كالخرساء معها..؟ اقتربت منهما لتشبع فضولها..

آنذاك، لاحظت صبا والصبارة اقتراب الليمونة رويدًا رويدًا، فقالت الصبارة تعالي واجلسي معنا، لن تتنفس ليمونة حتى تعرف بما نتكلم!

ضحكت صبا، وجاءت ليمونة وجلست بينهما بالفعل..

بدأت ليمونة تنهال بالأسئلة على صبا، وكانت أغلبها أسئلة شخصية، وأزعجت صبا لأنها أمورشخصية، ولا تريد أن تجيب عليها..

قالت صبا: يا ليمونة، أجوبة أسئلتك لن تفيدك بشيء فهي لا تعني لكِ، وقال رسولنا الكريم: مِن حُسنِ إسلام المرء تركه ما لا يعنيه.

قالت ليمونة: صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قالت صبارة: رُزقنا شفاعته يا الله..

ولحظات..

حتى ابتعدت ليمونة عنهما.. ورجعت لمكانها، لكنها حالما تحركت شعرت ليمونة بوجود شيء أسود بين أغصانها!

صرخت إيّاه مخاطبة:

- ما هذا الذي في ثنايا شعري، أخرج وإلا قتلتك!

أقترب الجميع منها، وحاولت صبا مساعدتها؛ لتخرج الشيء الأسود، وإذ به ذات الصندوق الأسود الذي جلبها إلى هنا!

حينها صبا فرحت وحزنت في آن واحد.. فرحت؛ لأنها سترجع لحياتها البشرية المملة، وحزنت على فراق هذا العالم الجميل ولا سيما صديقتها صبارة!

وَدَعتْهُم وبِودِّهَا لَومَا تُوَدِعُهم... وهمّت بمعانقة الصبّارة عناق الوداع لكن الصبّارة قالت: أوما نسيتِ حالي؟ لو اقتربتِ ستتأذين من شوكي! أنا كالشمس دافئة من بعيد، وستحرقك إن اقتربتِ.

حزنت صبا لحالها فهي بداخلها تحتاج لحنان وعناق ولكن خارجها مليء بالشوك والعقد التي يصعب حلها حتى اكتفت بتلويح يدها مودعة إياها ثم فتحتْ الصندوق..

ولحظات قليلة حتى وجدت نفسها على سريرها الوردي الذي تحبه، وخرجت من غرفتها رأت الكل نائم، حمدت ربَّها وذهبت لتتوضأ، وتصلي المغرب والعشاء، لقد تذكرت الآن بأنها نست أن تصليهما.. وحينما انتهت استغفرتْ الله كثيرا؛ لأنها أخرتهما لهذا الوقت المتأخر!

لاحظت بأن حياتها تغيرت كثيرًا للأفضل بفضل الله ثم بفضل أسئلة صديقتها صبّارة التي جعلتها تجاوب، وتفطن لكل شيء جميل حولها وفي دينها.. فكانت لا تدرك ذلك مسبقًا.

وبعدها جلست تحمد الله على كل نعمة أنعمها عليها.

الحمد لله على نعمة الإسلام، وبأننا مسلمين.

الحمد لله على نعمة العقل السليم، والجسد السليم.

الحمد لله على نعمة المسكن، والمأكل، والمشرب.

الحمد لله على نعمة الأهل، والأصدقاء...

فَاللَّهُمَّ لكَ الحمد، حمدًا كثيرًا طيّبًا مُباركًا فيه.

# ينبوع الدموع

كانت جالسة وعد في غرفتها، ممسكة ألبوم صورها، تارة تنظر لتلك الصوروتتأملها، وتارة تنظرفي اللا شيء فتشرد وتتذكر بعض ذكرياتها مع أولئك الحمقى الذين تصورت معهم مسبقًا..

حتى نادتها أمها، فتركته من بين يديها، وذهبت لترد عليها، وما إن رأتها أمها حتى وبختها؛ لأنها لم تذهب هذا اليوم لمدرستها، وعاقبتها قائلة لها: أريد هاتفكِ فأنتِ محرومة اليوم منه! فأعطت وعد هاتفها لها، لم تجاوب وعد أمها، وتركتها ودخلت لغرفتها..

شعرت وَيكأنّ بُركانًا تَوطَّن في أحشائها، بل وَوجد مَلاذًا آمَنًا داخلها! وذلك البركان يحتوي على الكثيرمن الصُّهارة القابعة في معدتها، وتأبى أن تصعد إلى فوّهة بركانها، فقط حُرْقة كبيرة تغلي كَغَلْيِ الحَمِيمِ في أحشائها! ومن شدة غضبها أمسكت

ألبوم صورها، ومزقت جميع الصور بيديها، حتى ارتاحت نفسها، وجلست تبكي وتبكي حتى انسكبت دموعها، منحدرة أسفل غرفتها..

وما إن لامست عَبراتها تلك الصورة المُمّزقة حتى رأت الأشخاص الذين بداخل تلك الصور يخرجون من صورهم، ويتجهون بأحجامهم المُقلّصة إلى مكانٍ واحد، أصابها الدهشة لما رأته عيناها، فكفكفت دموعها، وبدأت بتتبعهم حتى دخلوا داخل شق صغير في حائط غرفتها، واختفوا عن ناظريها..

لم تكترث وعد لذلك الشق في حائط غرفتها فقط أرادت أن تذهب معهم، وتتخلص من هذا العقاب المشؤوم، لم تعرف كيف ترحل مثلهم، حتى أتتها فكرة لربما ستنجح وتلحق بهم، وهي ستمزق صورة تخصها، وتسكب دمع عينيها عليها، وما إن فعلت ذلك حتى باتت مثل حجمهم، كحجم حبة أرز صغيرة مثلهم!

لوهلة رأت ذلك الشق الصغير بات حجمه يكبر ويكبر حتى بدى كبوابة كبيرة، حتى عبرته وعد الصغيرة، كان تظن بأن ذلك الشق هو النهاية لكل مشكلة، وما تدري بأنه البداية لمتاعب كثيرة!

رأت عيناها عالما غريبًا، الشجربات كبيرًا، والناس تساوت أحجامهم بأحجام النمل الصغير جدًا، كانت مندهشة من ينبوع تذوقته ولاحظت بأن طعمه لاذع، كل مخلوق يقترب منه يفيض بالدمع، رأت الضفدع فسألته عن حال ذلك الينبوع، حتى أخبرها بأن هذا الينبوع يفيض بالدموع، فتكوّن من دموع بعض الشخصيات الذين فروا من صورهم، فتجمعوا هنا، وفاضت أعينهم فكونت ذلك الينبوع..

وأخفض الضفدع صوته، قائلًا: يقولون بأنهم فروا من شريرة تدعى وعد! فهي من قصّت صورهم إلى قصاصات صغيرة وذرفت دمع عينيها وحولتهم لأحجام صغيرة حتى شعروا بأنهم لا أهمية لهم، فلجأوا إلى هنا، وفتحوا عزاءًا لا نهاية له!

لقد انصدمت وعد من هذا، هي سيئة وشريرة في رو اية أحدهم بل في رو ايات جميع من حولها!

وضعت بعض الطين على نفسها لتموّه وجهها، ولكيلا يعرف أحدٌ شكلها، ويفعل أي شيء لها، وتصبح غير مألوفة عنهم فيهدأ بالها..

وما إن فعلت ذلك حتى ذهبت عندهم وجدت منهم أطفالًا ونساءًا ورجالًا.. عجيبٌ أمرهم يبكون دون توقف!

ولاحظت بأن المكان التي هي فيه محدود وصغيروليس بالكبير، خشيت في نفسها لو استمروا بالبكاء سوف يموتون غرقى ولن يتسنى لها الخروج من هذا العالم بل ستموت فيه معهم!

وبدأ منسوب الدموع يزيد ويزيد حتى ذهبت للضفدع تسأله عن العو اقب الوخيمة التي ستظهرعما قريب.. وقالت ما كان في نفسها، فأخبرها نعم سوف تكون نهايتنا واحدة وهي الغرق، سيغرقون بما صنعته أيديهم!

تعجبت وعد كيف للمرء أن يُغرق نفسه بنفسه؟ لكن كلامه صحيح فأحيانًا يغرق المرء بما اقترفته يداه، وبما فرط في جنب الله، وبما انتهك من حرمات الله، يغرق المرء حينما يستبيح الغوص في بحر الحرام، ولم يدرك ذلك من البداية، فلقد كان مفتونًا في منظر الشاطئ الخلّاب السّاحر، وظن بأنه كلّما تعمّق كلّما استمتع، ولكن انصدم بأنه كلّما تعمّق كلما هلك!

ورويدًا رويدًا تزول المتعة ليتحول المنظر الخلّاب لمنظر قبيح.. لمرء غريق وسط بحر ذنوبه لا يجد أي مخرج أو منقذ أو أي معين من البشر فلا أحد يعلم بأنه غاص من الأساس في ذلك البحر!

تلطمه أمواج البحر لطمًا، يوقظه ويهز أركانه، يحاول الرجوع لكن هيهات هيهات فلا حول ولا قوة له إلا بالله العلي العظيم، لا يجد حلًّا سوى أن ينتظر.. ينتظر فرج الله، ينتظر معونة الله، ينتظر ولايته، وينتظر رحمته، وينتظر خَفيَّ لُطفه.. ينتظر حتى يأذن الله له بعمر جديد، وتوبة جديدة، وبداية جديدة!

لقد استيقظتُ من شرودي حالما لاحظت بأن قدميّ قد تبللت من دمع أعينهم، ولو لم يتقفوا سيغرقون وأغرق معهم لا محالة!

ما الحل من هذه المصائب؟ حاولت أن أذهب للضفدع خجلة فلقد سألته حتى استحييت منه.. وسألته إن كان يوجد حل لمشكلتهم لنحلها قبل أن يغرق جلنا هنا!

قال لي: نعم، لا أحد يبكي بلا سبب، لذا لديهم مشاكل توجعهم، وعجزوا عن حلها، أو عجزوا عن تصديق أنها وقعت! يجب أن نحل المشكلة قبلما نتجرع جُلّنا من كأس عواقبها..!

حاول الضفدع معهم لكن دون جدوى، فهو ليس من البشر ولا يفهمهم حق المعرفة... لكن وعد منهم لذا لا بد لها أن تفهمهم وتفهم كيف لبعض كلمات حُلوة قادرة على أن تنسيهم مرارة ما ذاقوا في حياتهم الدنيا..

ذهبتُ وحاولت التودد معهم لكن دون جدوى أيضًا، ووقتما تعبت جلستُ أبكي و أبكي لا أريد الموت في مكانٍ مجهول! على الأقل أموت موتةً شريفة، وليس هُنا في شق صغير لا تستطيع أن تدخله أصغر حشرة!

ووقتما بكيت توقف الجميع عن البكاء، لا أحد يبكي سواي، ينظرون إليَّ نظر المغشيّ عليه من الموت، لم أفهم نظراتهم حتى نظرت لانعكاس وجهي في ذلك الينبوع، يا إلهي لقد زال الطين الذي وضعته وبانت حقيقتي لهم!

بدأوا يتهمونني لماذا فعلت ذلك؟ لا يوجد إنسان سويّ يفعل هذه الفعلة البشعة!

تمنيتُ أنّ الأرض فُتِحت ساعتَئِذ فدخلتُ فيها، فلقد كُشفت حقيقتي، وتبدّى ما واريته عنهم! بدأت أتكلم بتلعثم:

أنا اعتذر منكم، لا أعلم إن قبلتم هذا الاعتذار لكن أرجوكم أقبلوا اعتذاري..

لقد نطق رجل منهم لماذا فعلت ذلك؟ ما هو عذرك؟

قلت مطأطأة رأسي: لقد غضبت و انفعلت اعتذر منكم.. هل من حل لتصفحوا عني؟

قالت امرأة منهم: وما فائدة اعتذارك، لا يوجد حل سوى أن ننتظر أجلنا هنا..

قال الضفدع وسط كلامنا: لربما يوجد حل.. وما إن قال ذلك حتى توجهت له جميع العيون، قلنا: وما هو؟

قال لنا: وهو أن تجتمعوا جميعكم وتقفوا بذات وقوفكم بالصورو أنتِ يا وعد فلتسكبي دمع عينيكِ عليهم، لربما هكذا ستزول التعويذة تلك..

لقد نظرت باندهاش له، وقلت في نفسي: لماذا يقول تعويذة وهذه الخزعبلات، بلا شك خرَّف الضفدع فلقد بلغ من العمر عتيًّا وتقاسيم وجهه وجلده تشهد ذلك!

الجميع ينظرلي، وكأنني المُنقذة الوحيدة لهم! صرخت بأعلى صوتي: بربكم تصدقون خزعبلاته؟

قال أحدهم: نعم، هذا هو أملنا الوحيد، أما سمعتِ بأن الغريق يتعلّق بقشة؟

قلت له باندفاع: لكن أنا وعد، ووعد ليست قشّة!

أصابهم اليأس وعادوا إلى ما كانوا عليه، عادت عيونهم تبكي! يا الله ماذا فعلت لتبتليني بهذا الابتلاء؟ أهكذا يفعل غضب الأم؟

لقد استسلمت وو افقت، تجمعوا كلهم وبدأت أبكي، وكان الضفدع يجلس على الفطر عيش الغراب، وينطق ببعض التعاويذ من طلاسم مكتوبة على ورق الشجر، وتقام طقوس سحريّة خزعبليّة على مرأى الجميع! الأمر مضحك جدًا، بدوتُ كالمجنونة أبكي وأضحك في آن معًا..

لوهلة انبجس ضياء من ذات المكان الذي أتينا منه! ذهبنا لندخله لقد خاف الجميع ورموني بداخله دون استشارةٍ مني؛ ليتأكدوا إن كان المخرج أو لا؟!

وجدتُ نفسي فجأة بغرفتي ذات اللون الوردي، وضعتُ رأسي الكبير بجانب الشق الصغير، وأخبرتهم نعم، نعم هو المخرج!

حتى رجعوا لذات الصور المُمزّقة وباتوا بداخلها، لقد حفظت كرامتهم، وجلبت اللاصق وألصقت كل ما مزقته بلحظة غضبي..

ثم خبأتها في ألبوم صوري، وذهبت لأمي واعتذرت منها عمّا بدر مني في الصباح الباكر، ووعدتها، وقلتُ لها: لن أغيب عن المدرسة، فقط أرضي عني.

ثم أكملت كلامي بجديّة: أمي، لقد حصل الكثير من الأمور العجيبة الغريبة بسبب عدم رضاكِ عني! تخيلي كنتُ سأغرق في ينبوع الدموع، مع مجموعة حمقى يؤمنون بخزعبلات الضفدع!

كانت أمي تنظر إلي بخوف، ثم قالت: أنا أخذت الهاتف عنكِ لنصف يوم ثم زال عقلك! خذي الهاتف وأرجوك لا تتفوهي بهذا الهراء أمام إنسان، ها هو الهاتف فقط لا تصابي بداء الجنون..

أخذت الهاتف وقلت لها: هو مجرد حلم، وكما قلتِ لربما تأثير عدم لمس الهاتف لنصف يوم..

ضحكتْ كثيرًا، وقالت: خذي الهاتف ولا تفقدي عقلك، واهتمي لدروسك، ولقد رضيت عنك.

عانقتها، وطبعتُ قبلةً على جبينها، وقلت لها: أحبكِ أمي، أنتِ أفضل أم في العالم..

وعدتُ لغرفتي، وفتحت الهاتف، والآن أنا أكتب إجابة على كورا؛ لأن العم حامد طلبها مني منذ بضعة أيام والآن أنهيتها، وسأنشرها، وتلك الإجابة ستكون بمثابة قصة لكم..

لكن هل تؤمنون بصحة كلامي؟ وبما جرى لي؟

للأسف، أمي لم تصدق ذلك!

تمّت.

# طيف النسيم

تخيل عزيزي القارئ بينما أنت تتسوق في السوق، من بين رائحة التوابل التي امتزجت مع السنين برائحة الأرض فأعطت رائحة لاذعة.. إذ يسطع سوق بين الأسواق بتميزه وتفرّده، ويجذب العُبَّار من أمامه ليدخلونه.. وكيف لا تجذبهم روائحه الطيّبة، ومناظره الخلّابة، حيث تفوح منه روائح الورد الأخّاذة، فتارة تستنشق رائحة ورد الجوري، وتارة عبق الياسمين الزكيّ، وتارة يشدّك رائحة زهرة التوليب الأحمر، ويأخذك لعالمٍ آخر رائحة الحلوى، والمخبوزات الطازجة التي تُباع أيضًا فيه، تشعر حينما تمر بجانبه بأن أنفك المسكين سيأخذ فترة نقاهة فلقد تعب من استنشاق كم تلك الروائح الهائلة الجميلة!

في سوقٍ مرت عليه سنين تتلوها سنين، فتغدو أصوات الباعة وكأنها حكاية من حكايات الجدات، فبين جدرانه العتيقة اندثر زمان وجاء زمان، هناك في ذلك السوق تعمل نسيم مع

والدتها.. كانت نسيم فتاةً صغيرة العمر، كبيرة العقل، حُلوةَ المنظرِ، حُلوةَ الكلام، جَميلة القلب والقالب، رَقيقة العاطفة، مُرهفة الحسّ، وتأسرك بجمال عينيها العسليتين، كما لو أنهما خمرٌيذهب عقل مَن ينظر إليهما، و ابتسامتها السّاحرة، ووجهها المُشرِق كما لو أنه الشمس التي تبزغ كل فجروتقضي على غياهب الأرض بأشعتها المشرقة، ونورها السّاطع.

كانت تجلس نسيم منبسطة الأسارير، منشرحة الصدر، مستمتعة بفعل ما وُكِّل إليها من أمور، ومستمعة لصوت القارئ عبد الباسط عبد الصمد الذي ملء صوته أرجاء سوقها المستقر، وهو يتلو سورة النور، وغيرها من السور، وكذلك صوته الذي ملء الأفئدة والصدور، تساعد والدتها تارة في صنع الحلوى، والمخبوزات، وتارة في بيع الورد لمَن يرغب بشر ائه.. وهل رأيت وردًا يبيع وردًا؟

وفي أثناء بيعها كانت تلاحظ شيئًا غريبًا، يوجد شخص ير اقبها من بعيد ثم يرحل دون شراء أيّ شيءٍ من السوق، تكررذلك الموقف مما جعلها ترتاب فيه، وتحتاط منه..

كان يراها من بعيد وهي تحمل الورود ويتذكر ما قاله الرافعيّ: "كانت معها ذات يومٍ وردةٌ لا أدري أيّتُهما تَستَنشي الأخرى".

وذلك الشخص يلبس نظارة سوداء كادت أن تغطي معالم وجهه من كبر حجمها، وقبعة سوداء يتوسطها خط ذهبيّ، ويرتدي رداءً طويلًا خُيّل إليها بأنه مسح سوقها بردائه لطوله، ولونه الأسود المريب، الذي أخفى جسده فيه فتعسر عليها معرفة إن كان يافعًا أم كهلًا، أو إن كان سمينًا أو نحيلًا..

لقد طغت رائحة فضولها على جميع روائح سوقها من زهورٍ وورودٍ وحلوياتٍ، ومخبوزاتٍ شهيّة! لم تستطع أن تصمد ليومٍ آخر فالفضول كاد أن يقتلها، فتبعته حذرةً من أن يلحظها هو، أو أن يلحظها أحد..

وها هي بعد مشيٍ طويلٍ خلفه أدركت بأنها بَعُدَت عن نُزلِها.. و اقتربت من مكانٍ بات قاحلًا، خاوِي النبات لا ورد فيه، ولا زهر، ولا خضار يُبهِج مُقلتيها، ويُغذّي بصرها، فأوجستْ في نفسها خيفةٍ نسيم، وكيف لعيناها الجميلتين بأن لا ترى ذات الجمال الذي تعوّدت على النظر إليه طوال حياتها؟

فجأة اصطدمت قدمها بصخرة جعلتها تقع وتتأوه مُتألمة حتى ألتفتَ إليها ذلك الغريب ولاحظ وجودها.. من ثم ألقى رداءهُ

عليها حتى أظلمت الدُّنيا وَاسْوَدَّتِ عليها بسوادٍ رغم جميع ألوانها!

حاولتْ أن تصرخ وتبعد ذلك الرِّداء العجيب عنها... وما إن نجحت في إزالته حتى لاحظت بأنها صارت في عالم لم يخطر على قلب بشر!

كان ذلك العالم يحتوي على الكثير من الأطياف، كان لونهم شفاف، لم تكن لهم أطراف، وكان المكان تحيطه شجر الصفصاف، فلأول مرة ترى عينا نسيم غرائب الأصناف.. كان هذا يثير استغرابها فهو مُختلف.

ضع نفسك مكان نسيم عزيزي القارئ وتخيل بأنك استيقظت في يوم من الأيام مَرعُوب هيُوب، ووجدت نفسك في عالم عجيب، وكل ما به غريب، سيكون ذلك الأمر مرعب ولربما مريب.. وهي كذا نسيم تشعر بكل هذا الاضطراب!

لكن ما زاد استغرابها أمر ذلك الغريب لماذا أتى بها إلى هنا في مكان مخيف، فيتواجد به الكثير من الأطياف، ولربما لن تكون فقط مخيفة الشكل لربما تكون مخيفة الفعل أيضًا..

والعجب بل وكل العجب في أمر ذلك الغريب، لماذا هو بين تلك الأشباح والاطياف؟ حاولت أن تتفوه وتنطق بسؤالٍ قبل أن تهطل عليه بو ابلٍ من الاسئلة لكنه زجرها خشيةً من أن يسمعها أحد حتى مشى بها وأوصلها إلى أأمن بقعة.

وما إن وجد الغريب مكانًا آمنًا جلس معها، وقال لها: يمكنك الحديث الآن، لكن قبل ذلك أخبريني يا نسيم، لماذا تبعتني، ألا تخافين؟ فَبنو البَشر يخافون هكذا عهدتهم؟ خلال كلامه لاحظت أشياءًا غريبة وهي كيف يعرف اسمها مُسبقًا فهي لم تخبره إيّاه بعد، ولماذا يتكلم "فبنو البشر يخافون هكذا عهدتهم" أكان بشريّا من قبل و أنا لا أدري! والآن هو مجرد طيف أو شبح، لكن ما قصته، وما لي به؟

لكنها استنكرت جميع ظنونها، وقالت في سرّها: هو يمشي كأي بشري لكنه غامض بعض الشيء، لذا هو متخفّي خشية أن تعلم شخصيته لا أكثر.. من ثم سألته نسيم متسرعة: لماذا تر اقبني؟ أنا أعلم هيئتك وهي تتكررلي كل يوم في متجري لماذا تقف كالأبله تر اقبني دون أن تشتري شيئًا منه؟ يوجد ورد، ويوجد مخبوزات طازجة، والكثير من الحلوى.. إذن لماذا لا تشتري شيئًا منها؟!

قال لها:

- أنا أتردد في كل مرة لمتجركم لكي أرى وردة جميلة فاطمئن على وجودها، وتفتّحها كل يوم، ونضارتها وإشراقها حتى اقتبس من نورها ثم أذهب..

قالت نسيم مُستغربة: تُحِبُّها، إذن لماذا لا تشتريها؟

ضحك وقال:

- لا يمكنني ذلك هي تستحق مشتري أفضل مني، أنا لستُ مُؤهلًا للعناية بوردة فائقة الجمال، من ثمّ لا أقدر على شرائها فثمنها نفيس وغالٍ على عبد فقير مثلي!

قالت نسيم مُتسرعة:

- لكن أمي وضعت أسعار الورد مناسبة وفي آخر النهار تصبح زهيدة قبلما يجن عليها الليل وتَذبُل، فأين الغلاء في ذلك كُلّه؟!

قال لها بأسى:

- وردتي مُشرقة لا تذبل، هي تبيع الورد، وتساعد والدتها، وتجيد صنع الحلوى، و تأسر المارّة بسحر ابتسامتها فتجبرهم

رغمًا عنهم على الشراء منها دونما عناء أو صراخ، هي رقيقة كرقة المنديل، وحالما تمشي تمشي بخفة غيمة، هي مُشرقة كالشمس وبعيدة عني ودافئة جدا، لكنني مدركٌ بأنّي لو اقتربتُ منها ستحرقني بأفعالها، أعلم بأنها مجنونة ووحيدة رغم ادعائها بأنها لا تأبه لِحُزنها القديم..

لا سِيق الله الحزن لقلبِ حَبّةَ قلبي لكنني أتساءل لماذا يا تُرى تبعتني قبل قليل مُتسلِّلَة؟ وها هي قُبَالَتي، وأحدثها وتحدثني، يا سعدي ويا هنائي، لقد نلت مُبتغاي، والآن إن أراد مَلِكُ الموتِ قبضَ رُوحِي فليقبضها، سأموت مُرتاح البال فلقد تكلمت مع محبوبتي الجميلة وجهًا لوجه، ولو لمرّة.. وتبع كلامه ضحكات متتالية أوحت بأنه مجنون.

لقد كانت نسيم ذكية لتفهم رسالاته الخفيّة في كلامه، ففهمت أنه يقصدها.. وحاولت إظهار خلاف ذلك.. وتغافلت سؤاله، و اجابته بسؤال آخر، فسألته: في أي مكان هي الآن؟ من ثم ابتسمت بداخلها يوجد مَن ير اقبها بصمت ويحيها.. حتّى وإن كان مجنونًا لكنها لا تدري ما اسمه، وما هو شكله، وكم يبلغ من العمر، وهل هو عازب أم متزوج وهل لديه أطفال! أم هل هو حتى رجل لربما كان عجوزولربما كان شبحًا

أو طيفًا من أطياف هذا المكان.. كل ما تعلمه أنها بعيدة عن والدتها مع مجنون غريب الأطوار!

لم تستطع أن تصمت أكثر.. فأخبرته:

- كان لحاقي بكَ مجرد فضول لذا تبعتك.. من ثم انفجرت عليه بكمٍّ هائل من الأسئلة، وأجاب عليها جميعًا بهدوءٍ مُلفت، و انتهت تلك التساؤلات إلى ما هو اسمك؟ لم يتفوه بحرف فقط ظل سامرًا ولم ينبس ببنت شفة! حسنًا لن تقول لي اسمك، سأسميك طيف وسبب تسميتي لك هكذا لأنك غريب في مكان مجهول، اعتذر إن أزعجتك بكلامي هذا لكنها الحقيقة حتى ملامحك لا تظهر لي.. وكأنني في حلم مجرد أضغاث أحلام وأعود لمنزلي عند والدتي العزيزة، آه لقد اشتقت إليها كثيرًا، واشتقت لرائحة الورد، و المخبوزات في متجرنا...

ضحك الطيف وقال: طمئني نفسك يا نسيم، نعم أنه حلم.. لن يحتمل عقلكِ الصغير كل هذه الأمور فاعتبريه حلم كما شئتِ..

قالت له: و أنتَ لماذا تأتي إلى سوقنا كل يوم بملابس سوداء مُريبة، ولماذا تظل تنظر إليّ، من ثمّ تذهب؟

لقد شرد بعيدًا، ثم قال مُترددًا:

- يا نسيم، تذكرينني بطفولتي فلقد كان لي أبًا وأمًا، وكان لي بيتًا دافئا كبيتك، وكان لي توهجًا ونورًا كنوروجهك وشغفك الذي يكاد يطير من عينيك، لقد كان..

ثم صمتَ لوهلة حتى قفزت دمعة من عينيه..

قاطعت صمته قائلة:

- من ثم ماذا يا طيف، هل كنت بشريًا، ولماذا أنتَ حزين الآن؟ أكملْ ولا تقلق، لن أخبر أحدًا بك، أعِدُكَ بِذلك، فأنتَ سِرّيّ.

لقد تنهد، ثم قال: لقد كنتُ بخيرٍ إلى حين ابتلانيَ اللهُ بحُبِّكِ ومن ثم صمت، ولم يتفوه بحرف، أما نسيم فقد شردت قليلًا متذكرةً أولَ رجلٍ أحبّها بصدق لكنّه رحل، بل ورحل جُلّ الأمان معه، فبدأت تتذكروالدها وقتما كان حيًّا في صِغَرها..

كان أمرًا أشبه ببترروحها حينما توفى والدها.. لم تؤمن يومًا بفكرة أنه مات - رغم إدراكها التّام بأنّ الموت حق - فهو حَيٌّ يُرزق في قلبها، ولطالما تحدثت معه لساعات طوال ولا سيّما قبل نومها، تشكي وتبثُّ شَكواها وحُزنها إليّه، ثم تحتضنُ

وِسَادتَها المُبلَّلة بدمع عَينيّها مُتخيلةً بأنّ والدها يُعانقها، بل ويتحدث ويطمئنُ قلبَها بمرورِكُلِّ مُرّيمُرّعليها.. وفي الصباح الباكر تظهر قوية لطالما حاولت أن تواري ضعفها وتبدي قوتها الكاذِبة أمام مرأى أعين الناس، ولم يكن أحد يدركُ ذلك بل كانوا يصدقون كذب ما تظهره!

آه يا أبتي لو تدري ماذا حل بيَ الآن لقد وقعتْ طفلتُكَ في مشكلة فريدة، قلبها يخفق بسرعة شديدة، لربما هو إعجاب يتبعه حب يتبعه بهجة البدايات الجميلة، ثم ألم النهايات لأصبِحَ حزينة..

قاطع تفكيرها ذلك الغامض يُقرّب إليّها بعض الفاكهة لتأكلها فلقد أخبرها بأنّ الرحلة طويلة.. هي شردت دقائق معدودات فكيف به جلب هذه الأطعمة والفواكه بهذه السرعة! لو كان جنيًّا لما جلبها بتلك السرعة الفائقة! تنفست تنفس الصعداء، ورددت: مجرد حلم، مجرد حلم وسأستيقظ منه، فلتهنأي بما لذّ وطَاب..

أكلتْ لكنها لوهلةٍ أصاب قلبها الذُّعْر فلم يقتربْ الطعامُ من فَمِ الغَامِض، ولم يقتربْ هو مِنه.. فأوجست في نفسها خيفة قال لها لا تخافي، معدتي مُمتلِئة تناولي أنتِ، ولا تفكري بأيّ شيءٍ

آخر.. أكلت بقدر حاجتها، ثم شعرت برغبة كبيرة في النوم، وأخبرته بذلك..

حتى مشى صامتًا، ومشت خلفه لا تحدّثه، ولا يحدّثها، وقتها بدأ الليلُ يسدلُ جدائله.. وكانت تخاف من الليل فكيف لها أن تنام في العَرَاء وسط أطياف، أو هيئة شجرة الصفصاف المرعبة في الليل الحالِك؟

غلب خوفها حياءَها، وقالت بصوت يترجف:

- أنا خائفة من هذا المكان وما عليه، فهلّا بقيت معي إلى حين رحيلي عنه؟ فأنا أخافُ من الليل فكيف بليلٍ، وأطياف، ومكان غريب عني؟ و أيضًا - والله أعلم - ما أُخفِيَ أعظم!

قال لها مبتسمًا بمكر:

- لا أحبَّ إليَّ من ذلك، وجلس تحت شجرة قريبة منها، وقال المكان آمن يمكنك النوم هُنا - وأشار إلى شجرة قريبة منه - تحت ظل تلك الشجرة.. ثم أردف قائلًا: سأحرسُ المكان لذا لا تخافي واطمئني، نامي قريرة العين، هانئة يا طفلتي.

أومأت برأسها، وحاولت أن تضع رأسها على أسفل الشجرة، وتنام جالسة حاولت أن تغمض عينيها، وتربط الأحداث

وكلامه الأخير الذي يفيض رحمة، لوهلة خطرت لها أنّ كل ذلك ليس مجرد احترام، و إنّما أكثر، لربما ذاتهُ الذي يُسمّيهِ النّاسُ حُبًّا، هل وقع ذلك الغامِض، الغريب بحُبِّي دونما أشعُر، فكلامهُ، و أفعالهُ، ومر اقبتهُ لي على الدَّوَام وقتما كنتُ في متجري كل ذلك يوحي بأنه يُحبّني، و أيضًا أيّ إنسان يؤثر على نفسه النومَ على حراسة شخصٍ غريب!

لكنه ليس بإنسان كامل، وليست هي بغريبة عنه فقد اعترف دونما يدرك بأنه ير اقبها منذ سنوات طويلة قبل أن تعي هذه الحياة وتكبُر! أيعني ذلك أنَّهُ يُحِبُّهَا حُبًّا جمًّا.. ماذا سيحصل لنسيم، وهل سيؤذيها الغريب المدعو طيف؟ وهل ستكشف حقيقته المَخفيّة.. تابعوا القراءة لتعرفوا ذلك.

وفي هذا المشهد يحرسها، ويسترق بعض النظرات إليها، ويرى وجهها، و انعكاس ضوء القمر المكتمل عليها، ويكأن تلك الحسناء تنافس جمال البدر! لا يدري بماذا يملئ قلبه حُبًّا؟ أفي البدر يملؤه أم فيها؟ لله منكما يا صورتيّ الجمال في الأرض، وفي السماء! وَهَلْ جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ؟!

أما هي، مغمضة عينيها، مبتسمة ابتسامة بلهاء ويراها دون إدراكٍ منها بدأت تفتح له قلبها في صمت، وبأنّ قلبها يُخفي

ذلك، والوجهُ يُبْدِي، فلقد فرحت في سرّها بأنها رأت مَن يحبها بصمت.. خُيّل إليها بأنها البداية لشيء جميل، وما تدري بأنها البداية لما هو أقبح..

من ثم استسلمت للنوم حتى ران الكرى في عينيها، فمالت نائمة، و انكشف شيء من شعرها فقد كانت تلبس حجابًا طوال تلك المسيرة الطويلة... تبدّى من شعرها خصلات منه.. وهنا أسره شعرها الكستنائي الفاتن، وكأنه سُحِر بحبها منذ زمن طويل، ألا إنّ للسحر رقية ولا يجد راقٍ يرقيه منه؛ ليتشافى بما ألمَّ به، فلقد فُتِن بحبها.. وفي ذات الوقت يعلم حاله وما هو عليه ويدرك بأنها لا تصلح له كحبيبة أو زوجة وما هو إلا مجرد شبه رجل، بل طيف تراءى لها مختفيًا برداء يعانق روحه..

وفي أثناء نومها بدأت السماء تمطر مطرًا خفيفًا حتى داعبت بعض القطرات وجهها، كما لو أنّ تلك المُزن شِفاهًا اقتربت منها لتعطيها بعض القُبَل.

فما كان عليه إلا أن يكتم ذلك الشعور في قلبه، ولا يطلعها عليه قولًا وفعلًا، ويتناسى ما تسرّب منه ويغلق قلبه، ويسيطر

على روحه أكثر، فلم يكن يريد أن يلوّث ويدنّس تلك الفتاة البريئة ذات الوجه الطفوليّ، بأفكاره ومشاعره الدنيئة..

وفي ذات الوقت يريدها وتنعدم الأسباب حوله! وكأنّ بداخله رجلان يتصارعان رجل ينصحه ويريه ما هو حق، ورجل يغويه ويريه ما هو باطل ونفسه الأمارة بالسوء لا تُقصّر، و نوازغ الشيطان الرجيم لا تنفك أن تأتيه فيستعيذ منها، وهواه الطائش يُزيّن إليه ما مُنع منه بل وما منع عن معشر الرجال كافّة..

والفتن تأتيه من كل صَوْبٍ وأوب مُتّجهة نحو عبد فقير! فأين الخلاص من ذلك كله؟

يلتجأ إلى ربه رغم قلة حيلته، وضعف إيمانه، رغم جميع فواحشه يلتجأ باكيًا بخلوة، يذرف دمعة خشية لله، وجلًا، خائفًا، من عذاب الله وسخطه، يرتجي مغفرته، وعفوه، ويسأل الله أن يهديه هداية لا انتكاسة بعدها، يستغفر الله وفي كل مرّة يتذكر ما أذنب وفرط في جنب الله، فيبكي ويطلب المغفرة والرحمة منه.. توقف لوهلة عن البكاء حتى وسوس إليه الشيطان أنه لا يوجد أمل و أنه من أصحاب النار مهما فعل من حسنات، وتاب من السيئات، تعوذ بالله السميع

العليم من الشيطان الرجيم، ودعا بحرقة: اللهم إن كنت قد كتبتني عندك في أم الكتاب أنني من أهل النارفامحها يا الله، واكتبني من أهل الجنة، يا مَن أمره بين الكاف والنون، يا من لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، يا رب المعجزات، اجعلني من أهل الجنة فإن جعلتني فيها، فيا سعدي على ذلك الجزاء.

ولحظات، حتى انبجس نورالفجر معلنًا قدوم يوم جديد، وقبل أن تستيقظ نسيم نظر إليها وأشعة الشمس قد لامست وجهها، وتذكر بيتًا من الشعر، يقول:

"عجِبتُ كيف تحِلُّ الشمسُ في قمرٍ

والشمسُ لا ينبغي أن تُدرِك القَمَرا"

وبدأت الجميلة نسيم تستيقظ رويدًا رويدًا..

وهو يراها من بعيد تستيقظ ويتساءل في نفسه: مَنْ أيقظَ الوردَ من نومِهِ؟ وها هي تنظر حولها ثم تتذكر ما جرى معها، يا لهذه الفتاة المسكينة، إنها فضولية، قوية رغم حياءها، جميلة رغم حزنها، تحاول أن تكون ضحوكة رغم أنها موجومة.. فلقد وجد الحزن في قلبها شيئًا من الأمان،

فاستوطن قلبها دونما هجران، لقد مات والدها منذ صغرها فذاقت طعم الحزن مبكرًا، تجرعت كمّا هائلًا من الهم، ووُكِّلت بمسؤولية أكبر من سنها، لقد كانت الحياة قاسيةً عليها، ولا تحترم صغر سنها، فأطعمتها من الكمد ما أطعمتها.. حتى قويت واشتد ساعدها، وأدركت معنى الحياة القبيح رغم زخرفها مُبكرًا.. عدلت حجابها وخبأت خصلات شعرها، ثم قالت وهي مندهشة: لأول مرة أحلم ثم أستيقظ بذات الحلم لحظة أيعني هذا أنني من البارحة لم أكن أحلم وكنت في الو اقع؟ و أنتَ حقيقي!

بدأت قدماها تتراجع للوراء وترمق ذاك الغريب بنظراتٍ مخيفة، وهادئة كهدوء ما قبل العاصفة، وها هي الآن تصرخ بكل قوتها، تصرخ أكثر من أول يومٍ في حياتها!

أصاب الغريب القلق، بدأ يهدأها ويحاول أن يغلق فمها دون جدوى، وكأنه سد و انفجر منه الماء!

وبعدما صرخت لدقائق خرّت مغشيّة عليها، استيقظت والشخص بذات ردائه وملابسه يقف جنبها.. يسألها: لماذا صرختِ، هل خفتِ مني أنا لن أؤذيكِ..

قالت له: صرخت لأنني أدركت مؤخرًا بأني في الو اقع وليس في الأحلام وعالم الخيال، ولقد تذكرت نصيحة والدتي، وهي تقول: " يا ابنتي، إن حصل لك أي مكروه من غريب فقط اصرخي بكل صوتك وسيجتمع حولك الناس ويساعدونك!".

وحالما سمع جوابها ضحك حتى هربت من عينيه دمعة، وقال وسط ضحكاته المجنونة: هنا لا يوجد ناس فقط يوجد نسيم، وأطياف كثيرة، و أنا!

سألته بخوف: ومَن المسؤول عن هذا المكان؟

رد مندفعًا:

- وهل سيكون هنالك فرقٌ إن كان هذا المكان بمسؤول أو لا؟ فبتنا بزمان الراعي بوجوده وعدمه سواء، أيّ غير مسؤول عن رعيته.. وينام قرير العين، خالٍ من الهمّ، دون أن يفكر في شعبه الجائع، ولا في دولته التي يجب عليه أن يطوّرها، ولا يكترث لهمّ أولئك الجوعى والمساكين في بلده، ولا حتى بأن يجد حلولًا للقضاء على البطالة والفقر، ينام كل ليلة هانئًا في حياته هذه.. وبعدها، وبعدها سيحاسبه الله على كل الرعية التي كانت تحت مسؤوليته وكذا جميع المسؤولين حاله،

وسيحاسبهم الله على خيانة الأمانةً التي كانت أمانةً في أعناقهم ومَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا. "وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ".

قالت له: صدقت، لكن لا تعمّم "إِلَّا من رَحِمَ رَبِّي".

قال لها: صحيح، لكن تكاد تلك الفئة تنعدم بل وتندثر.

أومأ برأسه ثم أخبرها بأن تستعد لأنها ستذهب لبيتها، ولن ترى هيئته بعد اليوم. فارتاح قلبها لكن تعب عقلها الحيران والذي لم يجد إجابة لماذا جلبها إلى هُنا؟ وهل سينتهي كل شيء بعودتها لكن ماذا تفعل بمشاعره فلقد بدأ قلبها يخفق لذاك الغريب!

تريد الذهاب لوالدتها لكن البقاء معه والحديث معه يسكن قلبها واهتمامه الملحوظ معها يفرحها، بل باهتمامه وبلُطفه علّق قلبها به دونما تشعر أو يشعر هو!

لكنها سألته بحنق:

- لماذا أتيت بي إلى هنا، ولماذا كنت تلاحقني، لماذا مدحتني، لماذا تغزلت بي، لماذا علّقتني بك ثم ترحل بكل بساطة؟!

لقد رأى في تقاسيم وجهها الحزن والحيرة حتى قال لها بهدوء مُستفز: كيف تعلقتِ بي؟ لربما هو مجرد إعجاب، أنتِ لا

تعرفين وجهي، لا تعرفين حالي، بل لا تعرفين حقيقتي الكاملة! كفاكِ هراءً لن يفعل الحبُّ شيئًا.. هو مجرد مشاعر فقط تجاهليها.

شهقت نسيم، ووضعت كلتا يداها على فمها المنفتح، وظلت متسمّرةً مكانها، وتشرئب إليه، فلقد فجعت بردّه الذي صدم قلبها؛ لأنها أحبّته بصدق طوال هذه الرحلة!

وهو لم يأبه لردّة فعلها حتى تركها لتتقبل كلامه، وما يدري بأنها صدمت صدمة فككت أركان شخصيتها، وجعلتها تفقد السيطرة على ذاتها..

حينها سقطت على الأرض وبدأت تبكي بلا توّقف.. لانكشاف الحقيقة التي جعلتها تبكي، بكاء صدمة الحقيقة، حقيقة الوهم، الوهم الذي كانت تزيّنه بل وتبني عليه أحلامها، أحلامها التي تبخرت بذات الوقت، الوقت الذي تمنت لو يقف لوهلة؛ لتصدّق، وتدرك كل هذه الأمور، وتتجاوزها!

حالما سمع صوت بكائها أتاها مُسرِعًا وحاول تهدأتها، والاستفسار عن سبب بكائها..

أجابته بضحكات كبيرة وسط بكائها وكأنه ألقى على مسامعها دعابة، وقالت:

- أبكي على نفسي، وخيبتي، أحببت طيفًا تراءى لي من بعيد فتبعته، وتعلّقت به بسبب كلامه المعسول، وها هو الآن حالما تبدّت لي حقيقته صُدمت! من ثم ماذا، سيرحل للأبد ولن أراه بعد اليوم..

قال لها مندفعًا:

- لكن يا نسيم أنتِ صغيرة ثم إنني كبير ثم إنني غير مُناسب بتاتًا لكِ، ولستُ جيدًا لأتزوجك فهناك من هو أفضل مني بكثير ويستحقك.. أنا لا أستحقك.. أنا لا شيء ثم ضحك ضحكة هستيرية..

تأكدت حينها نسيم من أنه مجنون، بل ويحتاج لجُلّ علماء النفس في العالم، ليتكاتفون ويتدارسون حالته المستعصية حتى يتوصلون إلى علاج يشفيه من دائه.

وأدركت وقتها بأنه كان يتلاعب بها، وبمشاعرها لا أكثر.. فإنّ بعضًا من الرجال لم ينضجوا بعد، ما زال بداخل أحشائهم أطفالًا يحبون اللهو واللعب، ويظنون بأن قلوب

الفتيات ما إن وقعت بشباكهم باتت لعبة ممتعة، وحالما يملون منها يلقونها، ويبحثون عن لعبة أخرى.

قاطع تفكيرها وقال: لقد فكّرت كثيرًا ووجدت أنسب حل لمشاعرنا الفيّاضة هو البُعد.. حتى تموت.

قالت له: مهما بَعدتَ عن عيني، ستبقى قريبًا من قلبي، سأموت قبل أن تموت مشاعري لك، و أتذكركَ في كل صلو اتي، وأدعو لك في سجودي، وأهمس بالدعاء لك قبل أن يبتلّ ريقي بأول شُربة ماء في إفطاري من صيامي، لربّما أحببتني ولم تستطع فعل شيء تجاه حُبّكِ لي، لكن أدرك بأنّي سأدعو صانع المعجزات، رب الأسباب، ورب المستحيلات الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، وهو على كل شيء قدير، وعلى جمعنا - إن شاء - بالحلال لقدير.

وحينها ابتسم وقال:

- ممتن لكِ على كل هذا، ولا أدري ماذا فعلت حتى يرزقني الله بِحُبّك لي، وإن كان الاعتذار يجدي نفعًا لما فعلته فأعتذر كثيرًا منكِ، والآن حان وقت الرحيل، سأرجعك بين ورداتك يا وردتي، وأرجو أن لا تذبل وردتي الثمينة أعتني بها جيدًا..

قالت له: هل يمكنني أن أطلب منك طلب أخيريا طيف؟

قال لها: بالطبع، تفضلي..

قالت له بحزن: هل يمكنك أن لا تكلمني ولا تتردد لرؤيتي فلا حول، ولا قوة، ولا طاقة لي برؤيتكَ بعدما حصل، وسيبقى الجرح ينفتح كلما أتيت، فلا تأتي، دعه يلتئم فيندمل للأبد، ولا تخف لن أخبر أحدًا عن مكانكَ، ومكان أقرانك، و أنت.. و أنت لن أخبر أحدًا عنك، فَأنتَ سرّي، سرّي الذي لن أفشي به لأحد، كما وعدتك مُسبقًا..

ابتسم الطيف، ونظر إليها نظرة الوداع حتى ألقى إليها رادءه، وما إن أرتدّ طرفها حتى وجدت نفسها وسط متجرها المُنغلق..

فذهبت لتتفقد والدتها، ووجدتها، نائمةً في سريرها، ولم تلحظ غيابها، لكنها ذهبت لتتوضئ وتصلي..

وحالما سجدت بكت بحرقة، وهمست قائلة: ربي لقد لجأت لغيرك حتى هنت، لقد طرقت جميع الأبواب لكنها أغلقت في وجهي، أدركت متأخراً بأنّ الملاجىء جميعها سواكَ كاذبة، وملجأك الوحيد الآمن، وبأن بابك مفتوح لا يُغلق..

أدركت الآن يا الله لماذا قلت في كتابك العزيز: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ..".

ومَا فسّرهُ السَّعدي في هذه الآية: "ولما نهى عن هذا الذنب بخصوصه، نهى عن الذنوب عمومًا، فقال:" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ" أي: طرقه ووساوسه.

وخطوات الشيطان، يدخل فيها سائر المعاصي المُتعلِّقة بالقلب، واللسان والبدن.

ومن حكمته تعالى، أن بيّن الحكم، وهو: النهي عن اتباع خطوات الشيطان، والحكمة وهو بيان ما في المنهي عنه، من الشر المقتضي، والدّاعي لتركه..".

ومَا قاله القرطبيّ في قوله تعالى:"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ" يعني مَسالكه ومَذاهبه، والمعنى: لا تسلكوا الطريق الذي يدعوكم إليها الشيطان، وواحد الخطوات: خطوة، هو ما بين القدمين".

ففهمت لماذا قال الله: لا تتبعوا خطوات الشيطان، ولم يقل سبحانه وتعالى: لا تتبعوا الشيطان! فهي خطوات يزينها لنا حتى نقع فيها.. ثم يتولى هو انا ونفسنا الأمّارة بالسوء تلك

المُهمّة.. وما أقبحه من شعور، شعور أن يرجع المرء إلى تحت الصفر بعدما تجاور تلك المرحلة بل ووصل إلى القمّة وبعدها بلحظات يهوي في قاعٍ سحيق، شعور مخيف جدًا!

وتذكرت رسالة "إلى ابنتي"، لعلي الطنطاوي:

"صحيحٌ أنّ الرجل هو الذي يخطو الخطوة الأولى في طريق الإثم، لا تخطوها المرأة أبداً، ولكن لولا رضاكِ لما أقدم، ولولا لينكِ ما أشتد، أنتِ فتحتِ له، وهو الذي دخل، قلت للص: تفضل.. فلمّا سَرقكِ اللص، صرخت: أغيثوني، يا ناس سُرِقت...! ولو عرفتِ أنّ الرجال جميعهم ذئاب، و أنتِ النّعجة لفررتِ فرار النّعجة من الذئب، ولو ذكرت أنهم جميعاً لصوص لاحترست منهم احتراس الشّحيح من اللص.

وإذا كان الذئبُ لا يريدُ من النّعجة إلا لحمها، فالذي يريده الرجل أعزُّ عليكِ من اللّحم على النّعجة، وشرُّ عليكِ من الموتِ عليها: عفافُكِ الذي بهِ تشرفين، وبهِ تفخرين، وبهِ تعيشين.

وحياةُ البنت التي فجعها الرّجل بعفافِها، أشدُّ بمئة مرّة من الموت على النّعجة التي فجعها الذئب بلَحمِها... أي والله، وما رأى شابٌ فتاةً إلا جَرّدها بخياله من ثيابها، ثم تصوّرها بلا ثياب.

أي والله، أحلف لكِ مرّة ثانية، ولا تصدقي ما يقوله بعض الرّجال، من أنهم لا يرون في البنت إلا خُلقها وأدبها، وأنّهم يكلّمونها كلام الرفيق، ويودونها ودّ الصديق.. كذب والله، ولو سمعتِ أحاديثَ الشّباب في خَلواتهم، لسمعتِ مَهولاً مُرعباً، وما يبسمُ لكِ الشاب بسمةً، ولا يلين لكِ كلمةً، ولا يقدم لكِ خدمةً، إلّا وهي عندهُ تمهيد لما يُريد، أو هي إيهام لِنفسه أنّها تمهيد.

وماذا بَعد؟ ماذا يا بنت؟ فكّري!".

لقد تحسّرت، وندمت أشدّ الندم لماذا لحقته، وفتحت قلبها له وسمحت له بتجاوز الحدود بينهما، وبكت في هذا السطر من الرسالة: "ولكن لولا رضاكِ لما أقدم، ولولا لينكِ ما أشتد". فتذكرت نصيحة مُعلِّمتها، حينما قالت لَهن: "الفتاة هي مَن تعطي الضوء الأخضر للشاب في أن يتجاوز معها حدود الأدب..".

وها هي الآن تتتذوق مرارة ثمار ذنبها، وفهمت كلام الدكتور أحمد عبد المنعم، حالما قال: "تعاملْ مع أمورِ الشَّهوات بِجدّيّةٍ وحَزْمٍ قبل أن تقع في الأسرِ فتندم!". وكرّرها ثلاثًا لمدى أهميتها..

لقد علمتْ لماذا قال الله بسورة الإسراء: "وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا".. وما فسّره السّعدي فيها مُذهل، فقال: "والنهي عن قربانه أبلغ من النهي عن مجرد فعله؛ لأن ذلك يشمل النهي عن جميع مقدماته ودواعيه، فإن: " من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه " خصوصًا هذا الأمر الذي في كثير من النفوس أقوى داعٍ إليه".

وما ذكرهُ الطّبريّ في تفسير هذه الآية: "ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلًا فيه مسألة واحدة، وهي ما قالها العلماء: قوله تعالى: "ولا تقربوا الزنا" أبلغ من أن يقول : ولا تزنوا، فإن معناه لا تدنوا من الزنا. والزنا يمدّ ويقصر، لغتان".

ففهمت هذه الآية: لا تقربوا الزنى.. ولم يقل سبحانه وتعالى: لا تزنوا، لأنه يعلم الله أن تلك الخطيئة لا تأتي بخطوة واحدة بل بخطوات متتابعة... وصدق أحمد شوقي حينما قال:

"نَظرَةٌ فَابتِسامَةٌ فَسَلامٌ

فَكَلامٌ فَمَوعِدٌ فَلِقاءُ

فَفِراقٌ يَكونُ فيهِ دَواءٌ

أَو فِراقٌ يَكونُ مِنهُ الداءُ".

حتى نامت في مَوضِع صلاتها، واستيقظتْ والدتها، فوجدتها نائمةً على الأرض، و أثر الدموع قد بدى على وجنتيها..

فأيقظتها والدتها، وقالت لها: نسيم، استيقظي! صباح الخير يا وجه الخير ثمّ إنني أعددتُ لكِ فطورًا شهيًّا، وبعده ينتظركِ عمل كثير في المتجر يا ابنتي، فتحتاجُ بعض النباتات والورود للرَيّ، والتهويّة، فهيّا استيقظي، و أفعلي عملك..

وحالما صلّت الفجر ثم أكلت وجبة إفطارها من ثم ذهبت إلى المتجر؛ لتفعل ما قالته والدتها حتى تعثرت بشيء، وحينما نظرت إليه وجدت ذلك الرداء مُلقى على الأرض، فلمسته وعانقته مستنشقة عبق رائحته التي ستختفي، رائحة ذلك المكان، وما به.. وخبأته في خزانتها.

أدركت بأنها كانت بأرضٍ بُور، لا تصلح للحرث، بل للحرق. ما كان يجب عليها أن تبالغ في الثقة، ولا تفرط في العشم، وكان

يجب عليها أن تكون و اقعيّة مع الناس، وتكون خلاف ذلك مع رب الناس، تطلب المستحيل منه فهو لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء فهو رب المعجزات.. اقتنعت بذلك، وتعلّمت من ذاك الدرس القاسي..

وعادت لمتجرها تعمل، وعادت لحياتها الطبيعية.

وعادت المياه إلى مجاريها.

تمّت.

# مرآة المجد

قالت المعلمة:

- مجد هلاَّ أعربتِ ما تحته خط على اللوح؟

ترددتُ قليلًا ثم هممتُ بالذهاب إلى اللوح؛ كي أعرب ما طلبته إيّاه معلمتي، وقد كان حلّ ذلك الإعراب هو: مفعول به منصوب.. لكن كانت الكلمات في فمي كخيوط الصّوف المغزول، مملوءة بالوَبر الجّاف، وقد تشابكت، وصنعت أعدادًا هائلة من العُقد.. اعرف أنه الخجل، بدأتُ أتلعثم أغمضتُ عيناي، وفتحتُهما على معلمتي، وإذ بها تقف بمحاذاتي، وقد أسقطت عليّ عيناها الغاضبتين..

هممت بحلّ سؤالها، لم تكن قد تكلمت معلمتي حتى رمقتني بغضبٍ، قائلة: ألم تنتهي بعد؟!

تأتأتُ قليلًا، وأسرعتُ بحلها، وقلتُ بتلعثم.

- مفعول به مرفوع..

ولم أكمل جو ابي حتى انهالت عليَّ الضّحكات من زميلاتي، نظرت إلى معلمتي استنجد بها؛ لكي توقف تلك الضحكات لكن خاب ظنّي فلقد جلست معهم تضحك عليَّ، كان أمرًا أشبه بالكابوس الذي سحق قلبي، وما زاد ذلك سوءًا حالما تبع ضحكات معلمتي بيت شعرٍوكان كالسهم الذي انبجس من فمها ورُمِيّ إلى قلبي ورام مرامه، وكان ذلك البيت الذي قالته:

- "وأرى حِمارًا بعد ذلك كُله

رَفَع المُضاف إليه والمفعولا."

ما إن قالت هكذا حتى تعَالت الضحكات أكثر فأكثر حينها أغروُرِقتَا عيناي، وشعرتُ وكأنّي مُهرّج على المسرح أقوم بدوري على أتمّ وجه، والجمهور العزيز يضحك عليّ! خاطبتُ نفسي أليس هذا أصعب من الموت؟!

تمنيتُ أنّ الأرض فُتِحت ساعتَئِذ فدخلتُ فيها.. انتهت محاضرة اللغة العربية، وأمسكت حقيبتي، وأدخلت فيها أغراضي بسرعة فائقة لم أشهد لمثلها مثيل، ثم حملتها وخرجتُ بأقسى سرعتي مُتّجهة نحو بيتي فلقد كانت آخر محاضرة في هذا اليوم المشؤوم..

وما إن وصلتُ إلى غرفتي ولجأتُ إلى ركني الآمن والمُظلم حتى ذهبت وألقيت جسدي على سريري، ووضعت رأسيَ المُتعب على وسادتي، وعيناياَ النجلاوتان تُمشّطان سقف غرفتي في ترّقب، بِتُّ أخشى الخروج من غرفتي بشدة أشعروكأن العالم القوي وما به ضد مجد الضعيفة، لا شيء يتردد برأسي سوى الصداع والخواء، فلقد اجتزتُ حدًّا من التفكير ألقى بي في كوَّةٍ مفتوحة..

تكلمت روح مر آتي حينئذ، وقالت لي:

- لقد علمت كل ما جرى بكِ، والمشكلة التي هزّت أركانك يا مجد، لكن لا تفكري بمدى سوءها عليكِ ونظرتهم لكِ الآن، فكري بعلاج المشكلة ونظرتهم لكِ في المستقبل! هل ستستلمين لِلَوَاذِعِ كلامهم؟ وتبقين أضحوكة المدرسة؟ أم تنهضين وتضعي حدًّا لهذهِ المهزلة؟

لقد انتبهتُ لكلام مر آتي كانت على حق! روحها لطيفة، هي صديقتي الخفيّة من نسج خيالي، تسمعني كل حين، ولم تفشل يومًا بمعالجتي بدواء كلماتها..

إيّاها خاطبتُ، وقلت لها:

- هل تجعلينني أطّلِع على مستقبل مجد؟ لأنظر إلى مستقبلي هل سأتغير للأفضل أم للأسوء؟ هل ستصاب المعلمة والطالبات بداء النسيان فينسين الموقف الذي حدث لي اليوم؟ هل سأكون سعيدة بما حققت من إنجازات أم سأظل قابعة بذات ركني المظلم، ويحيطني البؤس والشقاء جرّاء عدم فعلي لأي شيءٍ يُذكر!

ضحكت مرآتي، وحاولت مواساتي مرة أخرى، وحاولت أن تعدد مزاياي، قائلة لي:

- أنتِ رائعة وعظيمة تخلقين سعادتكِ من اللاشيء، مهما مررتِ بسوء وكنتِ بائسة، تشرقين من جديد! مهما كنتِ موجومة تتظاهرين بأنكِ ضحوكة كالفراشة كلما وقعتْ تحاول أن تحلّق من جديد، وأجمل ما فيكِ بأنكِ ذات خيال فريد! وتصنعين لوحدك المَجد يا مجد.

ابتسمتُ وقلتُ لها:

- أنتِ على حق، عندما أنغمس في خيالي، يُقال لي: "هذهِ أحلامٌ ورديّة، هذا خيال لا وجود لهُ في الواقع".

حسنًا، وإن كان كذلك؟

طالما يشعرني خيالي بالسعادة، والارتياح، والابتهاج، والانشراح، والاغتباط، وينتشلني من بؤس، هذا العالم.. فأنعِم بهِ، وأكرم!

يسعدني خيالي فهو شفاء لي، ويحزنني و اقعي فهو شقاء علي! ودمجهما بحياة واحدة يخفف عليّ كمد قلبي، لا الكثير من الخيال الذي يجعلني أُنعت بمجنونة، ولا و اقع كبير دون نقطة خيال فيجعلني أقتل نفسي من سأم الحياة وبؤسها، فأجد أن دمجهما هو أفضل حل!

وأعتقد يا مرآتي بأن كل ما كنتُ أقاسيه في الماضي، سببه واحد، هو أنني حرمتُ نفسي من الخيال!

لطالما شعرت بأن الانغماس في الو اقع يؤذيني، يقتبس من نوري بشكل كبير، بشكل يجعلني أنطفئ، فيفقدني بِريقي.

لا أخفيكِ أنني أشفق على العالم بأسره كيف لهم بأن يعيشوا بحياة واحدة! دون أن يبحروا في بحر خيالهم، ويسافروا لعوالم أخرى!

صحيحٌ أنكِ مرآة لا تنطق ولا تتفوه، صنعكِ البشر ليروا جمال أجسادهم ولا يكترثوا لقباحة أرواحهم، لكنني أتخيلكِ

تسمعين بأذنك، وتبصرين بعينيك، وتعقلين بقلبك.. وتنطقين كما البشر.

ثم تمتمتُ قائلة:

- فيا أيّها الخيالُ المُبجّل، عُدّ إلى روح مجد، وأغمر قلبها بالدفء والأمان والسلام.. عُد وأحِل قِفاري ربيعًا، تُزهر فيه ورد أحلامي، وزهر أمنياتي، وينمو فيه نبات أملي، ويجري من تحته أنهار خيالي، عُد، أرجوكَ عُد.

حتى تكلمت مرآتي، وقالت لي:

- هل تودين رؤية خيال مجد في المستقبل، و انعكاس وجهكِ الجميل عليّ؟

أَوْمَأتُ رَأْسي بِالْإِيجَاب، فنظرتُ نظرةً في المرآة، وجدتُ انعكاس وجهي عليها، و ابتسمت، أبحرت في ظلّي المعكوس فيها، حتى وجدت نفسي في المستقبل فتاة قوية، ناجحة، طموحة، لا تسأم من صنع الإنجازات، بل ورامت مرامها، وحققت كل إنجازاتها!

فشكرتُ مرآتي، ورجعتُ لواقعي، وحاولت النهوض، واستجماع قواي، ونهضتُ وبدأت من جديد، سَأُحِبُّ مادة

اللغة العربية، وأدرس بجدٍّ واجتهادٍ عليها، لن أهملها بعد اليوم.. وسأكسر قيد الخوف والخجل المفرط فهما يعيقاني عن التقدّم في طريق النجاح، فكان هذا القرار بداية تميُّزِي..

وها أنا الآن مجد القوية المُتسلّحة بعلمها، فشاركت بالكثير من الكُتب الجامعة، والمجلّات الإلكترونيّة، بل وألّفت كتابي الأول وأُهم بنشر كتابي الثاني.. فَلم أجعل خوفي من مادة اللغة العربية يُسيطر عليّ بل خلقت النجاح من قلب فشلي في تلك المادّة.

فعندما يسألني البعض عن سبب تفوّقي في اللغة العربية أخبرهم بفشلي بهذه المادّة ثمّ كيف حوّلت نقطة ضعفي لأول خطوةٍ من سُلّم نجَاحِي.

فلم يأتني حُلمٌ على طبقٍ من فضّة، ولم أنم خاوية الطموح والإرادة لأستيقظ بغتة وأجد نفسي على ما أنا عليه الآن.. فكُلّ هذهِ الإنجازات – حتى وإن كانت صغيرة في أعين البعض- لا أحد يعلم كم عانيت، وكافحت، واجتهدت، وخسرت، ووقعت، ثم نهضت لأجل أن أشقّ طريقي نحو النجاح، كل هذه

الإنجازات العظيمة جدًّا - في عيني- لا أحد يعلم كيف وصلت لها سواي، لأني وحدي مَن يعلمُ ذلك فحسب.

تمّت القصة بكل أمل.

# لصوص الأحلام

ذهبتُ لأنام فلقد جنّ الليل، وقبل نومي أمارسُ طقوسي وعاداتي الخاصّة بي، صلاة الوتر، ثم الاستغفار، ثم التفكير في جدول غد - إن أكرمني الله بيوم جديد- وأذكار ما قبل النوم، وسورة الملك المُنجية من عذاب القبر، حتى أصل لختام يومي، و أتخيل عالمي الخيالي، بل و أبني عوالم كثيرةً.. فيكون خاتمه مسك.

يبدأ النوم يداعب عيناي حتى أنام، وأذهب إلى تلك العوالم التي بنيتها، لكن هذه المرة لم أذهب مع صبا للحديقة وأزر صديقتي الصبّارة، ولم أكن وعد لأتقلص لحجم صغير كحبّة أرز، وأرى ينبوع الدموع، وأجد الضفدع المجنون ليمارس طقوسه السحريّة الخزعبليّة أمام مرأى عينيّ حتى ينبجس نور المخرج لي.. ولم اذهب حتى لمتجر نسيم الجميلة قلبًا وقالبًا مُتتبعةً طيف حتى ينقضّ عليّ بثوبه الطويل الذي مسح أركان متجري فيه، ثم يأخذني لعالم الأطياف ويفعل أفاعيله المريرة

بي، ولم أكن مجد وأرى انعكاس وجهي الجميل في مرآتي السحرية فأطّلع على مستقبلي و أقتبس منه المجد، فأسير على درب النجاح الذي رأيته..

هذه المرة كان الحُلُم فريدًا، كان أشبه بالكابوس الذي سحق قلبي، لقد سُرِقت جميع أحلامي بغتة مني دُفعةً واحدة، فطاف عليّ طائفٌ من لصوص الأحلام، وسرقوا أثمن ما أملك، وهدموا أحلامي.. ولربما السبب بأنني لم أصنع جُدرانًا وسُرَادقَاتٍ حول مخيلتي، وأسوارًا قويّة حصينة منيعة حولها، ولا سيّما ذلك الجزء الذي ما زال يَحلُم ويبدع بداخلي..

ووقتما سرقوا مني ما أملك، حزنتْ الشمسُ في عالمي حزنًا شديدًا حتى رحلت، و أتى القمر ليحلّ مكانها، وبات اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يوم رجوع أحلامي، لقد فكّرتُ مَلِيًّا، ثم قلتُ: مَنْ غَيْرُاللَّهِ سيَأتي بِضِيَاءٍ لِيُنير حَيَو اتنا؟

حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيّ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ، وَضَاقَتْ عَلَيّ نفسي وَظَنَنتُ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ، ثم دعوتُ الله كثيرًا؛ ليلهمني ماذا أفعل؟ فلقد تمّت سرقة أحلامي، ومصدر غذاء روحي، فكنت أقتات بها لأعيش في هذا الو اقع الممل!

بدأت أحاول الاستعانة بأفكاري الواقعية؛ لأنظر بنظرة أي إنسان واقعيّ، وما إن لبثت أفكر مثلهم حتى ضحكت ضحكتهم، وقلت لنفسي: ويحك يا فتاة، عودي إلى رشدكِ، فهذا لا يحدث إلا في الأحلام، وعالم الخيال!

لوهلة فطنتُ لنفسي لقد بِتُّ مثلهم بدون خيالٍ مستسلمةً للواقع! وبكيتُ يومي لا يَرقأ لِي دَمعٌ، ولا أكتحِلُ بنومٍ، حَتَّى أظُنُّ أنَّ البُكَاء فَالِقٌ كَبِدي، فبينما أنا جالسة حتى خطرت لي فكرة سنحول الأفكار العاديّة لخياليّة حتى نصل إلى لصوص الأحلام، ونعيد ما سرقوه إلينا.

بدأت أبحر في بحر خيالي، فأتوا إليّ وأخذوني عنوةً بقسوة، ولفّوا على عينيّ عصابةً لتعيقني من النظر إلى طريقهم، لكني سمعت ما داربينهم من حديث، لقد قال أحدهم:

- هذه الفتاة سرقنا أحلامها وما زالت تبحر بخيالها وتصنع أحلامًا أخرى! ولو سرقنا أحلامها التي صنعتها، ستبحر بخيالها وتصنع أحلامًا أكثر، لذا سرقناها كلها ستلزمنا في إتمام مهمتنا..

ورد عليه آخر:

- لكن ألا تخاف بأن يستشيط غضبًا قائدنا بأن أخذناها معنا؟

ضحك الآخروقال:

- بل سيفرح فهي غنيمة، وهِبة لنا..

لقد سرى الخوف في أرجاء جسدي، من ذروة سنامِي إلى أخمص قدمي، عَمَّ يتحدثون، وأي مهمة يقصدون، ومَن هو قائد هذه العصابة المكوّنة من لصوص غبيّة، ولماذا أنا سأكون كغنيمة لهم، هل يا ترى سأذبح و أقدم قربانًا لآلهتهم، يا إلهي أنقذني من هذا اليوم العصيب!

حتى سكنتْ خُطاهم، وسمعت دقّ بابٍ مجهول، ثم سمعت صوتًا جهوريًّا أشبه بالصراخ، وهو يقول:

- لماذا سرقتم إنسانًا من عالم البشر؟ أنا طلبت أمرًا واضحًا وهو أن تسرقوا أحلامهم ولم آمركم بأن تجلبوهم بذواتهم! حقًّا إنكم حمقى.

بدأ صوت مألوف على مسمعي، وهو من اللصوص الذين جلبوني إلى هنا يقول:

- لكن يا سيدي، هذه الفتاة مُبدعة، لقد سرقنا أحلامها لكنها حلمت مرة أخرى ولم يفلح معنا سرقة أحلامها المتجددة، لقد أتعبتنا بخيالها الجم وأحلامها التي لا تعد ولا تحصى، فما كان علينا إلا أن سرقناها كلها..

قال سيدهم بغضب شديد:

- لماذا فعلتم هكذا، أما تعلمون أنّ الخيال هُنا يتجسد، ولربما تستعمل خيالها ضدنا، ويهلك عالمنا بأسره!

وما إن سمعت هكذا حتى فرحت فرحًا شديدًا، سأطلق العنان لمخيلتي وسيتجسد كله! وسأرى صحة كلامه من نقيضه..

تخيّلتُ كنغرًا صغيرًا يقفزويقفزحتى وصل بمحاذاة عينيّ، وفكّ العصابة التي تلتف حولهما، فرأيتهم وشهقت كان شكلهم أشبه بالوحوش، لوِ اطَّلَعتَ عَلَيهِم لَولَّيتَ منهم فِرارًا وَلَمُلِئتَ منهم رُعبًا فلقد كانوا طويلي القامة تمامًا كما العمالِقة، وعيونهم الجاحظة تكاد تخرج من مكانها، وشعرهم الأشعث لم يرشكل المُشط قط، وبشرتهم البيضاء، وعظامهم البارزة التي كاد جلدهم أن يتمزّق لتتبدى عظامهم منه، وما أخافني أكثرشكل أسنانهم الصفراء الحادّة، كانوا يَنْظُرُونَ مِنْ

طَرْفٍ خَفِيّ إليّ.. وسمعتُ همس أحدهم لآخر: يا ويلنا، لقد استعملت خيالها!

استجمعت قواي، وتحركت بسرعة حتى تسلّ جسدي من قبضة أيديهم كما تُسلُّ الشَّعرةُ من العجين، وسألتهم: لماذا تسرقون أحلامنا؟ نحن لم نفعل لكم شيئًا! ومَن أنتم؟ ولماذا أتيتم بي إلى هُنا؟

قالوا: نريد أن نكبرونكبرنحن نتغدى على أحلامكم فهي بمثابة طعامٍ لنا، ولا سيما الكو ابيس هي طعامنا المُفضّل!

قلتُ لهم: لكن يمكنكم أن تأكلوا خبزًا، أو حلوى، أو خضروات، أو فواكه، أو أي شيء إلا نحن وأحلامنا.. فهي أيضًا بمثابة غذاءٍ لأرواحنا، ونقتات عليها حينما تشتدّ الحياة بنا وتؤلمنا!

قال سيدهم: لكن هو طعامنا المُفضّل، وما هذه الر ائحة الزكيّة المنبثقة من رأسك الذي يحوي على الكثيرمن الأحلام والخيال التي لا تنفك عن التوقف! كم سيكون طعمه شهيًّا لو أكلناه!

كنت أتخيل لا إرادياً بخوف لو سلبوا أحلامي، وطهوها في قدر كبير! ولوهلة ر أيت ما تخليته و اقعًا!

وها هي أحلامي طوال سنين حياتي تؤكل..

حلم تخصصي المُفضّل ها هو تبخّر في ذلك القدر..

حلم أؤلف كتبًا ويذاع صيتها يطبخ ويضع القليل من الملح عليه!

حلم وصولي إلى ما أريد بَعد عني بُعد ما بين المشرق عن المغرب!

حلم لقائي مع أناس وجودهم يصنع السعادة، وهم بمثابة الحياة لي ابتعد عني هذا الحلم كثيرًا!

حلم ان أجد وظيفة تلائمني كفتاة مسلمة، وتلائم تخصصي الجديد أيضًا طُبخ مع القليل من الفلفل والبهارات!

حلم بان أكون إنسانة طبيعية ولدي صديقات في أرض الو اقع ابتلعه ذلك العملاق مع القليل من الخبز بلا هوادة!

حلم، وحلم، وحلم...

كلها أحلام تبخّرت في ذلك القدر، وطُهِيت جيدًا، وبعضها تم أكله بلا رحمة وبات في بطون بعض العملاقة والوحوش..

والآخر تُرِك في ذات القِدر سيفكرون بماذا سيفعلون فيما تبقى من أحلامي! فلقد أصابتهم أحلامي التي كانت لا تعد ولا تحصى بتخمة... والآن زالت كل أحلامي مني!

هنا انتابني فضول لأعرف عن هؤلاء الوحوش أكثر، ورأيتهم خلسة ينزعون أقنعتهم... حتى رأيت أقربائي دمًا وحُبًّا هم مَن سلبوا مني أغلى ما أملك!

بكيت لأن الضرر كان صغيرًا، وحينما علمت مصدره وهو من أقرب الناس إلى قلبي زاد الضرر أضعاف مضاعفة بل كثيرة!

حاولت الهرب بما تبقى من عقلي الخالي من أحلام! ومن قلبي المعدوم من الأمل، ومع روحي المنطفئة، وخواء كاد يقتلني...

والآن بدأ بعضهم يسأل الرئيس: ماذا سنفعل بفتاة الخيال؟

فكر مليًّا ثم قال: سوف نرسلها إلى مقبرة الأحلام مع ما تبقى من أحلامها المطهّوة.. وادفنوها هي وأحلامها المتبقية، ادفنوها بقبرٍ جماعي، قالوا: حسنًا سوف نفعل ذلك.

بدأ يخفق قلبي بقوة، حاولت ألا أفكر بأي شيء مخيف كيلا يتجسد ويخفيني معهم، وينقلب مصدر قوتي لمصدر ضعفي! وهم الآن يضعونني بسجن صغير شفاف؛ لينقلوني إلى مقبرة

الأحلام، و أنا في طريقي إليها رأيتُ قبور أحلام البشر، هنا دُفِن حلم فتاة لتدخل تخصص الطب، وهنا دفن حلم رجل ليتزوج بمحبوبته، وهنا دفن حلم طفل بالحصول على دراجة، وهنا دفن حلم طفلة بأن تسير على قدميها، وأحلام كثيرة جميلة لكن دفنها جعلها قبيحة!

وبينما أنا جالسة في السجن إذ لقيت فتاة باكية تخيلتها بجانبي، وبدأت بسكب ما بقلبها داخل قلبي، فقالت وسط دموعها:

- أنا سُلِب مني أفضل ما املك، وهي أحلامي، أحلامي العاديّة جدًّا! وشعرتُ بأني كلما اقتربتُ لنيل مبتغاي، وبقيتْ آخر خطوة لي إلا وبعدت عني أحلامي كبُعد ما بين المشرق والمغرب لكن الناس لو ابتعدت عني وتركتني أحقق أحلامي و انشغلت بذاتها ولم تنشغل بهدم أحلامي لوصلت..

لوهلة تكلمت مع تلك الفتاة الباكية، خاطبتها قائلة:

- الناس مجرد أسباب، ولربما تأتيك كل الأسباب ويبقى آخر خطوة، ورب الأسباب يمنع قدمك لتزلّ في آخر خطوة! ومنعُ الربّ بحد ذاته منحٌ للعبد.

قاطعتني قائلة:

- أنا سجدت وبكيت ودعوت الله برجاء ويقين لكن الخبير العليم يعلم ما يصلح لي وصحيح شيء يؤلمني أن أجد من بعمري ألتحق بجامعات وكليّات و أنا في بيتي بل في غرفتي أبكي.

لا أُحِبُّ أن أقارن ذاتي مع غيري لكن يعزّعلى المرء أن يذهب جهده وتعبه سُدى!

ولعلّ في ذلك خيرا لي، وشيء قبيح بنفسي لن يهذّبه إلا هكذا ابتلاء، فالله يُريد بتأخير الفرج تهذِيبي لا تعذيبي، فمحسنة به الظن ومتأكدة بأنه سيجبرني.. وكما جاء في الفتح للحافظ ابن حجر رحمه الله: "الله يجعل لأوليائه عند ابتلائهم مخارج، و إنَّما يتأخر ذلك عن بعضهم في بعض الأوقات تهذيبًا وزيادة لهم في الثَّواب"

لذا سأصبر والحكيم له في ذلك حكم بالغة.. صحيح لم يستجب دعائي ولربما استجاب بأنه صرف عني شرًّا أو يؤخرها لوقت أفضل.. وحتى لو لم يستجب لي ما أراه - بنظري القاصر- خيرلي، فأنا بدعائي أعبدُ الله، وما يأتي من حبيبي فهو حبيبي، وربُّ الخير لا يأتي إلا بالخير.

قلتُ لها بلُطف: وحاولي بأن لا يتسلل القنوط واليأس إلى قلبك ولا تبتعدي عن عبادته لمجرد عدم استجابة دعائك! لتشملكِ هذه الآية في سورة الحج: "ومِن الناس مَن يعبد الله على حرف فإن أصابه خير أطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين".

تأكدي بأن هذا المنعُ من الربّ بحد ذاته هو منحٌ للعبد، فالمانع هو الذي يمنع عن عبادهِ ما يُؤذيهم، وإنْ ظَنُّوا الخَير في ظَاهِرِهِ، كما قال ابن عطاء الله السكندري: رُبّما أَعْطَاك فَمَنَعَك، وَرُبَّمَا مَنَعَك فأعطاك، وَمَتَى فُتح لَك بَابَ الْفَهْمِ فِي الْمَنْعِ صَار الْمَنْع عَيْن العطاء".

قالت بصوت منخفض: لربما تظنين بأنني أبالغ في ردّة فعلي لكن والله ضاقت بي الأرض بما رَحُبت، وضاقت عليّ نفسي، ومن جميع الجهات أغلقت!.

وكنت أتصبّر وأضع بصيص أمل صغير في تحقيق أحلامي العادية، وسأخرج من حزني السرمدي، وأشغل عقلي وتفكيري وتحقق أحلامي التي من ضمنها دراسة التخصص الذي أحبه، ونيتي خالصة لله.. لكن للأسف تدخّل بعض القاسية قلوبهم

في أمر مستقبلي والآن أمر دخولي إلى الجامعة هو أمر بل احتمال ضئيل جدًا..

والله، يا ربِّ رضيت فأشهد، ولا يعني بكائي سخطي، ومهما أرادت الناسُ لي أمرًا، وأراد الله أمرًا آخر لي، فإرادة الله هي التامّة وهي الغالبة، كما قال الله في سورة يوسف "والله غالبٌ على أمره ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون".

وصحيح أنني ظُلمت ودعوة المظلوم مستجابة، كما قال رسولنا الكريم - صلوات ربي وسلامه عليه - لكن لن أرفع يداي وأدع عليهم، كل ما أريده من الله هو أن يكفيني شرهم فحسب.

قلت لها بخفة: أنتِ حزينة لتدبير البشر ومكرهم لكِ أما تطمئن نفسك لمَن يرعاكِ ويدبر أمرك.. تذكري الحديث التاسع عشر من الاربعين النووية.. فقد قال رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم: "وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَإِنِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلاَمُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ"

فالأمر يكمن بالاعتماد على الله، والتوكل عليه دون غيره، إذ هو النافع الضار، قال الله تعالى: "وإن يمسسك الله بضر فلا

كاشف له إلا هو، وإن يردك بخير فلا راد لفضله" وما قاله الطبري في تفسير هاته الآية: وقدر ما يركن الشخص إلى غير الله عز وجل بطلبه، أو بقلبه أو بأمله قد أعرض عن ربه بمن لا يضره ولا ينفعه، خصوصًا إذا كانت الحاجة التي يسألها مما لم تجر العادة بجريانه على أيدي الخلق كالهداية، وشفاء المرض، وحصول العافية من بلاء الدنيا وعذاب الآخرة، ونحو ذلك مما لا يقدر عليه إلا الله".

ومَا ضَاقَت إلَّا لتفرج وَمَا تَعَسَّرَت إلَّا تَيَسَّرَت وما اشتدت إلَّا وَسَهُلَت وَمَا أَتَى هُمْ إلا تَبِعَهُ فَرِح وسعادة بِإِذْنِ اللَّهِ تعالى.

"ضاقت فَلَمَّا اسْتَحْكَمَت حلقاتها

فُرِجَت وَكُنْت أَظُنُّهَا لَا تفرجُ ".

ابشري بالخير فنحن ندعو رب الخير.

كفكفت الفتاة دموعها، ثم قلت لها:

- صحيح أنهم أسروني لكن ما أسرني أكثر حزني، حاولت أن اتخيل بأن هذا السجن الصغير الذي أنا أسيرة فيه بات سجنًا كبيرًا مملوءًا بكل طويلي القامة حولي، حتى بات كذلك...!

تخيلت بأن حجمي صغر كثيرًا وخرجت منه، بأنني أنا وتلك الفتاة فوق حمامة بيضاء نقلتنا إلى عالم البشر، ونظرت إلى مقبرة الأحلام قبل ساعة الإياب، وتخيلت بأن جميع الأحلام خرجت من أجداثها، وتحولت إلى فراشات وعصافير كثيرة، وكل فراشة تحمل بداخلها أحلامًا وقد رُدّت إلى أصحابها، وجزاء مَن سرق أحلام غيره بأن يصبح أسيرًا في السجن حتى يتغير شكله فتقزم كل عملاق، ويتغير أكله لنباتات فنغفر له.

ثم عدتُ إلى ما كنتُ عليه، ولحظات حتى فتحت عيناي، و أنا بذات سريري وأشعة الشمس قد لامست وجهي، وفكّرت في أمرهم أكان ما رأيتهُ أضغاث أحلام أم حقيقة، أكان حُلمًا أم كابوسًا؟

ثم ابتسمتُ بعدها، وقلت: أيًّا كان فهو جميل، وفي النهاية ردت الأحلام إلى أصحابها..

وتعلمت بأن أضع حول أحلامي حصونًا منيعةً قويةً لا يخترقها أي كلمة أو فعل أو وحش! فهي جوهرة ثمينة يجب عليّ الحفاظ عليها، وهي ما تجعلني استمر وأعيش في هذا العالم البائس!

وكما قال الدكتور حسن المزين: "كما يفعل الجميع بالمجوهرات والذهب وكل ما هو ثمين، يضعونها في أماكن آمنة بعيدًا عن متناول اللصوص كذلك ما أفعل في أحلامي أحفظها في مكانٍ حصينٍ منيع بعيدًا عن لصوص الأحلام وما أكثرهم!

تجّار استسلام الواقع وسلبياته، مروّجو العقاقير المُضادّة للأمل نحو مستقبلٍ أفضل، فضوليون بطبعهم، ومَدخلهم دائمًا: أنا أريد مصلحتك، (خليك واقعي)، (ما في فايدة) حقٌّ أريد به باطل!

فالحقيقة أنهم أناسٌ ضاقت عليهم عقولهم، فهاجرت أحلامهم دون عودة باحثةً عن عقول رَحِبة، عقولٌ لها حديقةٌ خلفية تستطيع فيها الأحلام أن تُحلّق كما العصافير والفراشات، التي تلحق في سماء الخيال ثم تنزل إلى أرض الواقع، وتسحر كل مَن يرى قوةً في رِقّتها، وتزعج كل مَن لا يستطيع امتلاكها..

كُن حريصًا على أحلامك، وأبدع في تجهيز حديقتها، استمتع بها، وأعمل دائمًا على أن تحسسها بالأمان، وضَعْ حولها سياجًا وحِصنًا منيعًا، فهي إن فعلت ذلك أعلنت الاستقرار،

وإن استقرّت دخلت من حديقة الخيال إلى منازل الو اقع فجعلت منها قصورًا تتسع للعالم أجمع، قصورٌرغم غرفها التي لا تنتهي، ليس بها شاغرًا للص أحلام واحد".

تمت القصص بكل أمل.

# الخاتمة

وصلت إلى النهاية، لا أدري إن كنت قد حققت مبتغاي من محاولة استغلال خيالي في الكتابة مع وضع فوائد أدبية ودينية ودنيوية...

لا أعلم إن راق لكم أن تقرأوا قطرة من بحر خيالي، يوجد عوالم كثيرة لم أكتب عنها شيئًا، واستأنفت عدة قصص خيالية تتحدث عن قبس من هذا الكتاب شعرت بأنها ستكون أجمل إن أفردتها في كتاب آخر كرواية بإذن الله ستكون أجمل من هذا سأتعمق أكثر في عالمها الأزرق.

أرجو من الله أن يكتب لهذا الكتاب القبول في الأرض.

وأرجو أن يروق لكم كتابي، وأسلوبي، وقصصي، وخيالي.

- مجد طلافحه.

تم بحمد الله.